معروف ومن العرب ان كثيراً من الذين يتركون ازياءهم من المسلمين ويلبسون الزي الافرنجي يتهاونون بأمور الدين ويتجرؤن على الفسق والفجور وان اختلاف الزي كان من اسباب ضعف الرابطة الملية والقومية ، وقاعدة سد ذرائع الفساد ثابتة في شرعنا ، ومن غير زيه لاجل التوسل به الى المعاصي كان تغييره معصية ومن خاف على نفسه ذلك فليس له أن يقدم عليه ، والذين لا يبالون بهذا اذا كان لعدم اذعان انفسهم للامر والنهي فليسوا على شيء من الدين ـ ولعل هذا ما كان يحذره بعض الفقهاء المشددين حتى في العادات ولكن الجرأة على التحريم والتكفير للاشخاص المعينين خطر على صاحبه أعظم من الخطر الذي يحذره وينكره الغلاة فالافراط في الدين كالتفريط فيه كلاهما ينتهيان الى الجناية عليه والاضاعة له فنسأل الله الحفظ والسداد

الحقائق الجلية في المسألة العربية

مقالة للعبرة والتاريخ

تمهيد ومقدمة

كتبنا في سنة ١٣٣٤ (١٩١٦) مقالا عنوانه (المسألة العربية ـ مقالة للتاريخ) لم يتيسر لنا نشره الا بعد زهاء سنة كاملة من وقت كتابته فنشرنا في الجزء الاول من المجلد العشرين بعد أن أشرنا اليه في تقريظ جريدة القبلة من جزء المنار الذي صدر في آخر المحرم سنة ١٣٣٥ (من المجلد التاسع عشر) ولكن بعد أن حذفت منه المراقبة الانكليزية ما حذفت ، وأكرهتنا على تبديل ما كرهت ، ولا أعني بالمراقبة الانكليزية مراقبة قلم المطبوعات في وزارة الداخلية المصرية التي كان يرأسها انكليزي أمر بالتشديد في مراقبة المنار بمالا يشدد في مراقبة سائر الصحف لانه في اعتقادهم أشد تأثيراً في أنفس المسلمين بما له من النفوذ الديني (١) وانما أعني مراقبة السلطة الانكليزية التي كانت تحول اليها مراقبة المطبوعات في الداخلية ما يكتب في مسائل معينة من أهمها المسألة العربية والحجاز . على

(١) من أغرب هذا التشديد اننا قد كنا ننقل بعض ما ينشر في الجرائد اليومية فنمنع من نشره بالمرة ألبتة أو يحذف بعضه حتى حذف بعض تقرير مشيخة الازهر الرسمي في انتقاد مشروع التعليم الاولي عند نشرنا اياه نقلا عن الجرائد

أننا راعينا في تلك المقالة مقتضى الحال وأحكام الزمان، فسكتنا عن بعض الحقائق وبينا بعضها بالتصريح، واضطررنا في البعض الآخر الى الايماء والتلويح، واننا نذكر في هذا المقال الذي نكتبه بعد الفاء المراقبة على الصحف في مصر بعض الحقائق ونرجيء بعضها الى فرصة أخرى، قاصدين مع بيان حقائق التاريخ الموعظة والذكرى، فنقول

اننا كنا نتوقع وقوع الحرب الاوربية الكبرى قبل وقوعها بزمن بعيد ولا سيما بعد حرب البلقان خلافا لجماهير المفكرين الذين كانوا يستبعدونه أو يحيلونه ظنا منهم أن الدول العظمى وصلت الى درجة الكمال في العقل والفضيلة ومراعاة المصالح الانسانية العامة بحيث يحلون جميع المشكلات بالاساليب السياسية دون الحرب ولم يصدق هؤلاء بامكان وقوع هذه الحرب الا بعد اشتعال نارها بالفعل

وكنا نعتقد أن الدول الاوربية الاستعمارية تريد الاستعجال بحل المسألة الشرقية اغتناماً لفرصة ثورة الاتحاديين وتنفيرهم للعناصر العثمانية بغلوهم في العصبية التركية، وقد شرحنا هذا الاعتقاد في المقالات العشر التي كتبناها بعنوان (المسألة الشرقية) بمناسبة استيلاء ايطالية على سواحل برقة وطرابلس الغرب ونشرناها في المؤيد ثم في المنار، وكان نشرها في المؤيد مثيراً لبعض وكلاء الدول الاوربية وحاملا لهم على مراجعة السفير البريطاني بمصر وايعاز السفير الى رئيس الوزارة المصرية باخذ صاحب المؤيد بالامر ووجوب مطالبته اياي بتخفيف الحملة عن الدول بجملتها وحصر الكلام في ايطالية ومسألة طرابلس

وقد حملنا في المنار على الحكومة الاتحادية بما كانت وضعته من أساس الاتفاق مع الدولة البريطانية على جعل العراق منطقة نفوذ اقتصادي لها ومشروع الاتفاق مع فرنسة على مثل ذلك في سورية كما حملنا عليها في اتفاقها السري مع ايطالية واعتقدنا أن الاتحاديين يريدون تنفيذ وعيدهم في العرب بعد أن أنذرونا غير واحد من زعمائهم بأنهم يبيعوننا ويرقون شعبهم بثمننا، ولاجل هذا اندفع العرب العثمانيون الى طلب الاستقلال الاداري من الدولة لولا يأسهم على طريقة اللامركزية

ولما أعلنت المانيا الحرب على روسية جزمنا بأن قد وقعت الحرب العامة المنتظرة وان دولتنا ستعمل نارها مع المانية لما كنا نعلم من الروابط بين زعماء

الاتحاديين وبينها و توقعنا أن تكون الحرب سبباً لحمل حكومة الاتحاديين على تنفيذ ما كانوا يعدون به العرب من الاصلاح واعطاء الحقوق عقب المؤتمر العربي الاول بباريس ، لان الشدائد هي التي تذهب الاحقاد، وتبعث على الاخلاص في الاتحاد ، وخفنا أن يكون ما احدثوه من العصبية الجنسية سببا للتنازع الموجب للفشل، ولاجل هذا كتبنا تلك المقالة التي نشرناها في الاهرام ثم في المنار بوصية الشعب العربي بأن يسكت في اثناء الحرب عن مطالبة الدولة بالاصلاح ويكون مع الترك يداً واحدة وكلمة واحدة فيما تقتضيه حالة الحرب من حصر كل القوى في الاستعداد للنفير ... وكان لها ما كان من القبول والتأثير الحسن

وعد الانكليز باستقلال العرب ومساعيهم معنا

في هذه الاثناء بلغنا بعض رجال الدولة البريطانية هنا بأن حكومتهم عزمت على العطف على العرب ومساعدتهم بنفوذها الادبي عند الدولة العثمانية على ما يطلبون من الاصلاح اذا بقيت الدولة على الحياد الذي تتظاهر به واما اذا انضمت الى المانية في الحرب فانها تساعدهم على الاستقلال وتكوين دولة عربية

ولما اصطلت الدولة بنار الحرب وقع الرعب في قلوبنا وكان أخوف ما نخافه عليه بلادنا العربية لانها خالية من الحصون والمعاقل الحربية وبعيدة عن مركز القوة والسلاح في الدولة، ولم نلبث أن استدعانا بعض رجال الدولة البريطانية هنا وبلغونا ثانية أن دولتهم قررت باتفاق الاحزاب مساعدة العرب على الاستقلال في جميع بلادهم وانها لا تبغي أخذ شيء منها واذا اضطرت الى عمارية الترك فيها فانها تترك لهم كل ما تدخله منها بعد اخراج الترك منه - وأنهم يحبون أن يعرف العرب هذا ويكونوا مطمئنين آمنين على أنفسهم من جانب البريطانيين فلا يتخذونهم أعداء، وقد جاءنا نبأ من مصدر عال في السودان بمثل ما بلغنا بمصر عن بلاغ من لندن. ثم أطلعونا على منشور يريدون نشره في البلاد العربية بهذا المعنى فلم تر عبارته مفيدة ما وعدونا به بل هي ابهام محض فاقترحنا عليهم أن يصرحوا فيهم بالمراد تصريحاً لا يحتمل التأويل ككونهم يتعهدون باستقلال هذه البلاد اذا ظفروا في الحرب ويحملون حلفاءهم على ذلك وبعدم أخذ شيء من البلاد العربية لا باسم الفتح والامتلاك ، ولا الحماية ولا الاحتلال ، ولا بأي اسم من امثال هذه الاسماء ، وبأنهم يخرجون من البلاد التي دخلوها كالقاو

البصرة والتي سيحتلونها من بعد بلا شرط ولا قيد. وبعد التشاور بينهم ومراجعة حكومتهم العليا بلندن في ذلك حذفوا هذه القيود. وكانوا يرجون منا مساعدة بناء على تلك الوعود فكتبنا لهم مذكرة بعد مذكرة في الاحتجاج على ما ظهر لنا منهم وبيان خوف العرب على بلادهم من انكلترة دون سواها واعتقادهم أنها هي الخصم لهم وتحذيرهم من الغرور بما تكتب جرائدهم وبعض الجرائد المداهنة لهم من وصفهم بأنهم أصدقاء العرب وان العرب اصدقاؤهم - وبيان مكان الدولة العثمانية من الاسلام والمسلمين وما يهمها منه فوق ما يهمها من عداوة العالم الاسلامي لهم وفي مقدمته مسلمو الهند وجعلهم النبأ واحدا عليهم اذا هم استولوا على بلاد العراق وسورية ومنها البلاد المقدسة وما يترتب على ذلك من سيرورة الحجاز تحت رحمة تصرفهم مع محاربتهم للدولة التي يعترف لها السواد الاعظم من المسلمين بانها دولة الخلافة اذ يعتقدون حينئذ حقية ما تقوم به دولتهم من عزمها على ازالة الحكم الاسلامي من الارض - وان السلطة الاسلامية في نظر المسلمين اهم المهمات وثانية عقيدة التوحيد لانها سياجها وحفاظها وان عداءها السبب في تعلق مسلمي الارض بالدولة العثمانية وحبها. وبينا لهم في أول تلك المذكرات ان الاستيلاء على البلاد العربية وحفظ السلطة الاجنبية فيها ليس بالامر السهل ولا بالمركب المذلل بل يحتاج الى قوة برية كبيرة جدا لمنع الثورات الخ

كان غرضنا من هذه المذكرات اقناع الدولة البريطانية بأنه لا يمكن لها أن تقنع العالم الاسلامي بأن قتالها للدولة العثمانية ليس عدوانا على الاسلام وسلطانه لاجل تقليص ظله من الارض بل لتحيزها الى أعدائهم الالمان عليهم وعلى احلافهم الا اذا أعطت العهد والميثاق بالاعتراف باستقلال البلاد العربية التي هي مهد الاسلام وفيها معاهده المقدسة الحرمان الشريفان والمسجد الاقصى في القدس ومعاهد العلم ومشاهد الائمة للشيعة في النجف وكربلاء وهي مظهر حضارة الاسلام العربية، وموطن الخلافتين الاموية والعباسية، مع بيان ما في ذلك من الفوائد السياسية والاقتصادية والادبية التي شرحناها لهم بالصدق الخالي من شوائب الايهام، وستنشر هذه المذكرات في يوم من الايام، مع مكتوبات أخرى في المسألة عظيمة الشأن

خاب سعينا الى ما سعينا اليه من عهد أو وعد رسمي بذلك ولم نغتر بالايهامات التي كانت تصدر أحيانا من برقيات روتر وأقوال بعض الجرائد

الانكليزية بوعد بريطانية العظمى بالعطف على العرب وما ينتظر من سعادة البلاد العربية اذا تحررت من سلطة الترك واعادتها مجدها هارون الرشيد والمأمون. وعلمنا مما دار بيننا وبين رجالهم الذين بمصر ومن مذاكرتنا مع السر مارك سايكس الذي أرسلته السلطة العليا من لندن الى مصر والعراق لدرس المسألة العربية سنة ١٩١٥ أن القوم ثابتون على مبدئهم في بلادنا وهو ما كنا نعلمه قبل الحرب بسنين كثيرة ونوهنا به في المنار مراراً وكان لهم يد في مساعدتنا اياهم على اقناع العرب بما أشرنا اليه آنفاً ولو بكتابة شيء ما في جريدة الكوكب التي أنشئت لاجل هذا الخداع فخاب أملهم فينا كما خاب أملنا فيهم

ما كان بين الانكليز وأمراء العرب

ولى الانكليز وجوههم شطر أمراء العرب وزعمائهم في الجزيرة والعراق وسورية للاستعانة بهم على مناوأة الدولة العثمانية بالخروج عليها أو خذلانها فأعرض عنهم امام اليمن ووالى الدولة في الحرب كما عاهدها في السلم، ووالاهم أمير نجد وسيد عسير على الوقوف على الحياد. ووالاهم شريف مكة باعلان استقلال الحجاز ومقاومة دعوة الاتحاد والترقي الباغية الباغية اولا ثم بمناوأة الدولة ومحاربتها ومساعدة الجيش الانكليزي على فتح بيت المقدس والشام، وقد انخدع أهل سورية والعراق بهذه الموالاة والمخالفة وصدقوا التقرير الذي كان يوجه اليهم في المنشورات والجرائد ولاسيما جريدة الكوكب — ووافق ذلك شدة طغيان الاتحاديين وتنكيلهم بعرب سورية والعراق تقتيلا وتمثيلا وتشريدا وتعذيبا فوجد المضطهدون منهم مهربا وملجأ من العذاب ففروا اليه بآمال كبيرة اذ ظنوا أن حوادث الزمان قد مهدت السبيل بهذه الحرب واشتغال الدول الاوربية الطامعة بعضها ببعض لاستقلال البلاد العربية واعادة حضارة العرب الزاهية العالية التي يفتخر بها التاريخ، ولعمري ان الفرصة قد كانت سانحة لو وجد في البلاد العربية زعماء أكفاء يغتنمونها من غير أن يجنوا على الجامعة الاسلامية باسقاط الدولة العثمانية

ثورة الحجاز والاتفاق مع بريطانية

كانت حركة الشريف الاولى في الحجاز من النتائج التي تقتضيها المقدمات التي مهدت بحسب سنة الاجتماع وكان يمكن أن يكون أقوى مما يقال فيما ما قلناه بسبب عدم

اما أن تنفع واما ألا تضر — واكبر ما يرجى منها ان تتخذ وسيلة لجمع كلمة العرب في الجزيرة وتنظيم القوة لحفظ البلاد العربية من السقوط تحت سلطة دولة أجنبية اذا غلبت الدولة بالتبع لانكسار حليفتيها الكبريين المانية والنمسة . وكان هذا ما يجب القيام به على من استطاع اليه سبيلا من كل عربي وكل مسلم أيضا ولو كان من الترك الذين يهمهم شأن الاسلام. ولما ذهبت الى الحجاز عقب ثورته لاداء فريضة الحج صرحت لامير (وملكه اليوم) برأيي وما أعجبني من جعل خروجه وعدائه خاصا بالاتحاديين الذي فرقوا الكلمة ونكلوا بالعرب السوريين وغيرهم في الوقت الذي هم احوج فيه الى التأليف والاتحاد وما يجب من انتهاء عداوة الترك واضعاف الدولة وحصر السعي في جمع كلمة العرب وايجاد قوة جديدة لهم من السلاح وغيره استعدادا لحفظ حياتهم والنهوض بأمر استقلالهم اذا انكسرت الدولة وحفظ حقوقهم معها اذا هي انتصرت كما يتمنى كل مسلم . وقد ظهر لي منه الموافقة على هذا الرأي وخطبتي التي ألقيتها أمامه في احتفال العيد العام بمنى وتصديقه اياي في كل مقاصدها برمان رسمي على ذلك مطبوع في جريدة القبلة ومجلة المنار (١)

على انني لما عرضت عليه الشروع في مخاطبة أئمة الجزيرة حوله الى الوحدة وجمع الكلمة قال انه يرى تأخير ذلك الى أن يستولي على المدينة المنورة لئلا يظن جبرانه انه مخطب ودعم خوفا منهم لارجاء وسعيا للمصالحة العامة — ولم يرضني هذا الجواب فقلت له يمكن أن يكون السعي من قبل بعض وجهاء العرب لا باسمكم بشرط موافقتكم اذا هم وافقوا فأبى الا ارجاء ذلك : وبعد أن عدت الى مصر اخبرني واخبر غيري ببعض من كان في خدمته انه قال : من هؤلاء الكلاب حتى اتفق معهم ؟ اليوم يوجد في الدين الامير فلان والامام فلان وغدا لا يوجد لا هذا ولا ذاك — وذكر أسماءهم — ولكن هذا القائل ممن بلونا عليهم الكذب وقد كذب لنا وعلينا وله وعليه . وقد يصدق الكذوب وكان ما قاله هو الواقع بل كان من الواقع ان نقاتل مع ابن سعود بدلا من ان يتحدا

ثم إن الشريف بعد ان بايعه أهل الحجاز باسم ملك العرب واعترف له حلفاؤه

(١) راجع من ٢٨٢ — ٢٨٨

من الانكليز والفرنسيس بملك الحجاز فقط — جاهر بمعاداة الدولة العثمانية والترك وبذل الجهد في قتالهم فخاب املنا في وقوف ثورته عند الحد الادنى مما رجوناه منها بعد أن رفض السعي الى الحد الاعلى أو السماح به وقد اشرنا الى ذلك بقولنا في بيان الحالة السياسية في الحجاز من الرحلة الحجازية (ص ٢٨٠ من المجلد العشرين) عند الكلام على ما كان يراد من مبايعة الشريف بالخلافة وسعينا الى مقاومة ذلك: « بت ليالي أفكر في هذه المسألة ... وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه الليلة عن رأي الامير دون من حوله وقد ذكرته لذلك وكان أعجبني من منشوريه الاولين جعل هدايته نقطة الاتحاد بين المنقابة لا الشعب التركي كما ولا الدولة العثمانية أيضا — وكذلك كانت الثورة في أول عهدها — »

فمفهوم هذه الجملة الاخيرة ان الثورة الحجازية تحولت عند كتابة هذه البذة من الرحلة عما كانت عليه من ذلك في أول عهدها ومنه الوقت الذي كنت فيه بمكة وهذا كل ما كان يمكن التلميح اليه تحت عين المراقبة (وذلك في ربيع الآخر سنة ١٣٣٦ — فبراير سنة ١٩١٨) ولمحت قبله في (ص ٢٨٠) الى الحديث الذي دار بيني وبين الشريف الامير في شكل حكومة الحجاز الجديدة بقولي انني ذكرت له رأيي مفصلا فصيلا وأقول الآن ان ذلك التفصيل كان في بيان محظورات أتخذه له لمنصب الخلافة وما يترتب عليه من المفاسد مهما كونه هو مبايعا للسلطان محمد رشاد — وحديث « اذا بويع لخليفتين فقتلوا الآخر منهما » (رواه مسلم في صحيحه) — وكون بيعة أهل الحجاز له لا تصح لانهم ليسوا أهل الحل والعقد في الامة الاسلامية وهم خاضعون لسلطته وحكمه غير أحرار في اختيارهم — وكراهة العالم الاسلامي كله لثورة الحجاز وغير هذا مما لم يكن التصريح به ممكنا في عهد المراقبة . وقد كان الشريف يؤمل أن أكون من أنصار الثورة وأعمال الحجاز وكان هذا ما يجب علي لو جرت الاعمال على ما أعتقد صلاحه كما صرحت له عند وداعه ولما لم أفعل أظهرت حكومته لي العداء وأمرت بمنع المنار من دخول الحجاز بحجة أنني طعنت في رجالها بما يرفع الثقة منها ونشر ذلك في جريدة القبلة وتلك لعمر — فما علمت به كان أول ما خطر على قلبي قوله تعالى (ان الله يدافع عن الذين آمنوا) فانه يدفع عني اتهام كثير من الناس اياي

بمثابة هذه الثورة مطلقا واردت نشر بلاغ المنع في المنار فه منني المراقبة الانكليزية على أنه كان نشر في جريدة (وادي النيل) في الاسكندرية وسعى بعض رجال المكتب العربي في الصلح بحملي على تأويل لما كتبت اقترحوه فلم أقبل ولكنني أشرت الى سبب ما كتبته وفرضي التصحيح منه بما لا يرضى الشريف على أن غضبه كان لسبب آخر.

والسبب الذي جرأ أمير مكة بالامس وملك الحجاز اليوم على ما فعل وجعله لا يبالي بانتزاع ولا بأمراء جزيرة العرب هو الاتفاق الذي عقده مع بريطانيا العظمى قبل الثورة فانه كان يظن ان سيحكم به جزيرة العرب وسورية وتفرق قوة بريطانية العظمى التي لا تعلوها قوة في العالم وقد أشرت الى ذلك في بيان صفته من الرحلة الحجازية بقولنا (ص٣٥٧ م٢٠) «ومنها ان ثقته بالدولة البريطانية وتقديره لقوتها وعظمتها لا حد لها ولا اصطناع الشيء عليها فهذا لم يكن يمكن لاحد اقناعه بغير ما اعتقده وجرى عليه لا بيرهان العقل ولا بحجج النقل» وله في جريدة القبلة أقول في ذلك قريبة نقلنا بعضها وفيما لم ننقله ما هو أغرب منه حتى ما نشر بعد خذلانها له وإذلاله فيصل غير مرة — وهذا الايمان والتسليم لها في حالتي الرضا والغضب هو الذي عطفها عليه وعلى أولاده أخيرا كما بأبي بيانه. على انه كان يكتم نص هذا الاتفاق حتى عن أولاده حافظ ابناه مع المكتوبات الرسمية الاخرى في الكيس الازرق الذي لا تخلو غيره. وقد كان بعض البريطانيين الطلعي على نص هذا الاتفاق بالعربية قبل الثورة وسألني عن رأيي فيه فقلت واجما متألما: هذا اتفاق لا يرضى به الا عدو للعرب أو حمار لا يفهم معناه. فاحمر وجهه وقمت بيني وبينه مناقشة حادة فيه لا أنني تألمت في نفسي لجريان كلمة حمار على لساني. وما رأيته قريب مما بلغه الشريف فيصل في دمشق لجريدة المفيد ونشرناه في الجزء الثالث من هذا المجلد لا أن فيه تصريحا بأن غربي سورية ليس عربيا وانه لا يدخل في الاتفاق لما تدعيه فرنسة من الحقوق فيه وان ما عداه من البلاد العربية التي لا ينازع انكلترة أحد في نفوذها فيه هو الذي تعترف باستقلاله يستولي عليه الشريف منه بشروط منها استثناء ولاية البصرة الخاصة بالانكليز وكون جميع ما تحتاج اليه هذه البلاد التي تستقل باستيلاء الشريف

عليها من الموظفين وغير الموظفين مما يحتاج اليه لادارة البلاد فما يطلبه من انكلترة واعترافه بجميع ما بينها وبين أمراء العرب وزعمائهم من الاتفاقات والمكاتبات (وان لم يطلع على شيء منها) فالشروط خمسة هذا مضمونها ولا أدري هل هدل شيء منها أم لا، وقد قيل ان لديه معاهدات ومكاتبات أخرى وانما العبرة بالعمل، فهو الذي لا يماري أحد فيه، وسيأتي ذكر ما انتهى الى شوطه وشوط أولاده فيه، على انه قد ظهرت قوادمه وخوافيه

ما ائتمر به السوريون بمصر

اجتمع فريق من أشهر مفكري السوريين المقيمين بمصر في أوائل عهد الحرب لأجل التشاور في مستقبل سورية ودعوا كاتب هذا المقال لحضور اجتماعهم فكان رأي جمهورهم ان الحلفاء سيكونون هم المنتصرين وسيستولون على بلادنا فينبغي ان نخاطبهم فيما نحب ان تكون عليه حكومة البلاد في ظلهم احتياطا اذ يرجى ان يتساهلوا الآن فيما لا يتساهلون بمثله بعد النصر — فعارضت في ذلك جازما بأنه لا يجوز لنا ان نخاطب أحدا في شأن بلادنا ونفرض انه سيكون مستوليا علينا. — وقد تكرر هذا الاجتماع في عدة مجالس من دورهم تمحصت فيها الآراء وكان الرأي الذي انفرد كاتب هذا المقال بعرضه عليهم والاحتجاج على صحته والنضال عنه هو وجوب السعي الى الاستقلال التام وتكوين دولة عربية اذا انكسر الترك وحلفاؤهم. وأما آراء سائر السوريين من النصارى فكانت تنحصر في رأيين ثم عدل بعضهم رأيي فصارت ثلاثة (الاول) انضمام سورية الى بعض الدول الاوربية وتجنسها بجنسيتها وتجعلها جزءا منها (الثاني) ان تكون مستقلة في ادارتها تحت حماية دولة أوربية (الثالث) — وهو رأي المعدل — ان تكون مستقلة اذا أمكن تحت رعاية الدول العظمى وبشرط ان يكون لها مستشارون ومراقبون من بعض تلك الدول. وأنا لم أوافق على هذا التعديل لان الاستقلال فيه صوري لا حقيقي، ولم أقبل في وقت من الاوقات ان يكون لاجنبي في بلادنا أدنى سلطان، ثم وجدنا من غير هذه اللجنة أفرادا واقوما على طلب الاستقلال التام المطلق كما سنذكر بعد

وقد وضع هؤلاء المؤتمرون مواد أساسية لشكل حكومة البلاد على تقدير استقلالها التام ومواد أخرى للاستقلال الاداري تحت الحماية بتقدير وقوعها وكتبوا للمشروعين مما مقدمة ووزعت نسخ ما كتب على المؤتمرين وبعد مناقشتها دارت المناقشة فيما وعدل بعض موادها. ولما ردت على الاستقلال التام وتكوين دولة عربية في نسختي كتبت في حاشيتها ما يأتي الاصح به ان ذكروا ما يجب به طلاب الانضمام الى الدولة الاجنبية وطلاب الاستقلال الاداري في ظل دولة أجنبية وهذا نصه :

« ويحتج أصحاب الرأي بأن من وضع نفسه حتى أن يكون تابعاً لغيره لا يرجى له الارتقاء والوصول الى الكمال الانساني كدأب الاستقلال والحرية الذي تبذل الامم دماءها وأموالها في سبيله . وان هذا العصر عصر تكوين الجنسيات فاذا كانت الامم المتزنة البالغة أعلى درجات الحضارة لا ترضى لجنس من الاجناس أن يساوي جنسها باختيارها سواء كان من عناصر دولتها أو مستقلا دونها ، وسواء كان مثلها أو فوقها أو دونها في العلم والمدنية — فهل يعقل أن ترضى أمة من الامم أن ترفع شعباً ضعيفاً تستولي عليه بالقوة حتى تساويه بأبناء جنسها ؟ هذا محال لا مطمع فيه فالواجب على السوريين وهم أرقى الامة العربية علماً وحضارة الا يبخسوا أنفسهم وأمتهم ما أعطاهم الله واعطاها من الاستعداد ، ولا يرضوا بأن يكونوا دون أهل جبل الاسود والبلغار واليونان ، بل يجب أن يقدروا ذلك قدره ويوجهوا أنفسهم الى أعلى ما تطلبه الامم من الكمال ، ويبذلوا كل ما في وسعهم لنيل الاستقلال. فان نالوا بالسعي الذي قدتم القصد ، وان صدهم المقدار كان لهم عذر » اه وهذه النسخة محفوظة كغيرها عندي وثم نسخة عليها تعليق مهم بقلمي عند باشا من باشوات أولئك المؤتمرين . وقد كان ذلك كل ما أثمره اجتماعهم في أواخر سنة ١٩١٤ وأوائل سنة ١٩١٥ وقد سعينا الى الاتفاق مع غير هؤلاء من كبار السوريين على طلب الاستقلال لبلادنا وتكوين أمة عربية فلم نقنع الا نفراً قليلا من النصارى في مقدمتهم اسكندر بك عمون الخالد الذكر باستقلال فكره وكرم أخلاقه ، وكان هذا قبل تأليف الحزب السوري الذي يمثل الوطنية الحق بعد جهاد في تأليفه دام سنة اشهر حتى انتصر طلاب الاستقلال من مؤسسيه على طلاب الاحتلال

اتفاق سنة ٩١٦ على قسمة البلاد العربية

وضع هذا الاتفاق كل من السر مارك سايكس المستشرق أحد أعضاء مجلس النواب البريطاني وموسيو جورج بيكو الذي كان قنصل فرنسة الجنرال في بيروت الى عهد اعلان الحلفاء الحرب على الدولة العثمانية وبعد أن أقنعا دولتيهما به الفا وفدا وحضرا الى مصر ثم سافرا الى سورية لأجل التمهيد لقبوله عند السوريين وملك الحجاز . وقد الفا في أوائل رجب سنة ١٣٣٥ وأواخر ابريل سنة ١٩١٧ جمعية من السوريين فيها ثلاثة أو أربعة من المسلمين وواحد من وجهاء الدروز وباقي أعضائها من المسيحيين لاجل الاتفاق بين أبناء ملل البلاد التي سيكونون عليه في ظل هذا الاتفاق قبل اعلانه . (وفي هذه المرة لم يطلب السر مارك سايكس مقابلتي لانه يئس من استخدامي لمقاصده بما دار بيني وبينه المامه الاول بمصر سنة ١٩١٥) وشاع في تلك الاثناء أنه قد ألفت جمعية سورية بمصر لاجل السعي لاحتلال فرنسا سواحل سورية وجمعية اخرى لانشاء حكومة مسيحية في سورية تحت اشراف فرنسة ورعايتها او حمايتها

ولدي مذكرات في بعض ما سمعته في تلك الايام من بعض أعضاء جمعية السر مارك سايكس وغيرها من اعلم رجل من اعلم المشتغلين بالسياسة منهم في (٢٨ يونيو) أنه فهم من السر [illegible] سايكس تصفية تركيا وان اعطاء سواحل سورية كلها لفرنسة لانها البلاد التي [illegible] وقد اختاروها على بقية [illegible] الصليبية المشهورة ... وقوله (في [illegible] عاد السر [illegible] جورج بيكو من زيارة [illegible] وعلما أن [illegible] سواحل سورية لفرنسة وقد ذكر سايكس لعدي من أقل شيء [illegible] بذلك ولقنه ما اقترح عليه ان يقوله لموسيو جورج بيكو فقنه به فلم يخالف بحرف منه ، (ولكن هذا الرجل على حد قوله وعلمهم أنه هو الذي اقنع والحق ان الملك لم يعارض فيه محتاج الى اقناع) ثم بعد بضعة أيام اخبرني بذلك رجلان آخران ممن كانوا يلتقون سايكس أو من أعضاء اللجنة التي الفها ثم بعد سماعنا هذا بأسبوع أو أسبوعين جاء القاهرة أحد القواد الذين كانوا مع الامير فيصل فألقيناه معتقداً ان الملك وافق الانكليز والفرنسيس على ما قرروا في شأن سورية والعراق ، ثم سمعت هذا الخبر بعينه بعد شهر من مسلم آخر كان مشتغلا بهذا الفصل مع اللجان . ثم اخبرنا بعض من كانوا مع الامير فيصل انه رأوا كتاباً من والده له يذكر فيه ذلك

ويعلله بأن فرنسة تحفظ له سواحل سورية من التعدي عليها الى ان يصير للدولة العربية اسطول يحميها به على انها تدفع مبلغا معينا للدولة العربية في كل عام مادامت محتلة في تلك السواحل

وجملة القول انه قد تألف بمصر في سنة ١٩١٧ جمعيات ولجان بإيعاز الانكليز والفرنسيس بعضها لوضع أساس الاتفاق بين الطوائف على ما سيكون عليه نظام البلاد بعد تنفيذ ما علم بالاجمال أن الدولتين الحليفتين اتفقتا عليه وهو جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وبعضها لوضع أساس الاتفاق بين العرب واليهود ومن هذه الجماعات جمعية فندق لاسيوتال ولم يكن فيها الا مسلم واحد وقد كنت كلما سمعت من أحد خبراً من الاخبار في هذا الشأن أجادله بالتي هي أحسن الا أن يكون ظالماً فانني انذره سوء عاقبة السعي مع الساعين في هذه السبيل وما يعقبه من لعنة الملايين له الى يوم الدين

وفي أول سنة ١٩١٨ ظهر الاتفاق بين الدولتين بمظهره الرسمي وقد وصل الى مصر في منتصف شهر فبراير منها بريد أوربة شارحا ذلك فأمرت المراقبة بحتم الخوض فيه في الجرائد الى أن تمهد له السياسة ما ترجو أن يكون به مقبولا عند جماهير السوريين مختلفي الاحزاب والآراء . وكانت وصلت الي في هذا البريد جريدة المستقبل العربية التي تصدرها في باريس جمعية موسيو شكري غانم السورية بنفقة الحكومة الفرنسية مفصلة لاعلان هذا الاتفاق في لندرة ثم في باريس كما ذكرناه بعد ذلك في الجزء الاول من مجلد المنار الحادي والعشرين (فليراجعه من شاء عند مطالعة هذه المقالة في ص ٣٤)

وعلى اثر ذلك جاءني من أحد وجهاء السوريين المشتغلين بالسياسة مع الانكليز كتاب يدعوني فيه الى شرب الشاي في داره « مع أخلص المحبين » في مساء ٢ فبراير سنة ١٩١٨ فأجبت الدعوة وانا متوقع أن تكون لتأييد الاتفاق الانكليزي الفرنسي على قسمة البلاد العربية بين الدولتين وعازم على مقاومة ذلك مومناً تقضي على النفي من مصر بهذه المقاومة مستعداً لذلك وقد رأيت في المكان ما قوي حدسي - رأيت أشهر رجال الحزب الانكليزي والحزب الفرنسي والحزب الحجازي وحزب الاتحاد اللبناني وأفرادا من المستقلين طلاب الاستقلال . وبعض المراقبين من الضباط وغيرهم وفي مقدمتهم طالب بك النقيب والاستاذ الكاظمي وزوجته السيدة وبعد شرب الشاي وما يتبعه من الحلوى والفاكهة اقترح على شاعر

العرب الكاظمي أن يسمع الحاضرين ما تجود به قريحته من الشعر الاجتماعي فاعتذر بانحراف صحته ثم ارتجل أبياتا صفق لها القوم تصفيق الاعجاب مرارا لا نذكر منها الآن الا قوله

قد منحنا الحق الصراح وأعطى غيرنا حقنا بلا استحقاق

ثم اقترح على الدكتور فارس نمر أحد أصحاب المقطم(١) ان يلقي خطابا في موضوع الحال الحاضرة فأجاب

خطاب الدكتور نمر في شأن اتفاق سنة ١٩١٦

قال الخطيب في فاتحة خطابه انه مضطر الى مخاطبة الحاضرين في بيان الحال التي انتهت اليها مسألة وطنهم بصراحة فوق المعتاد ثم أشار الى ما دار بين الدولتين في مسألة البلاد العربية وقال ان رجالهم العظام صرحوا بأنهم لا يمكنهم ان ينفعوا سورية حول البساط الاخضر في مؤتمر الصلح الا اذا كان زعماؤها متفقين على أمر مستقبلهم فهم يتهمونا بعدم الاتفاق وان الفرصة الآن سانحة لنا اذا أردنا انقاذ بلادنا من حكم الترك واذا فاتت هذه الفرصة فلا يمكن ان تعود لنا ولا لابنائنا واحفادنا (قال) وأنا أقول اننا لسنا مختلفين بقدر ما يظنون أو يقولون ولا مجال للخلاف في هذا الامر الجوهري للبلاد وهو انقاذها من يد الترك .... وأما الخلاف فيما عدا ذلك من مستقبل البلاد فأمره سهل متى تم لنا انقاذ البلاد — (وقال) اني قرأت تقرير جمعية الاتحاد اللبناني فرأيت ان الخلاف بينها وبيننا بسيط يمكن تلافيه بتعديل خفيف فهي تريد استقلال لبنان ونحن نبغي استقلال لبنان وسورية والعراق أي البلاد العربية (وهنا صفق له الكثيرون) ثم نوه بأننا كلنا عرب ومصلحتنا واحدة

(وبعد هذا التمهيد بالاسهاب حاول ان يأخذ قراراً من الحاضرين بالامرين اللذين زعم المستر مارك سايكس بخطابه في الجمعية السورية بباريس انه يمكن للسوريين الاحرار في المهاجر الاتفاق عليهما وهما قلب الحكم التركي وازالته — واعتماد السوريين على مساعدة فرنسة في السير بأنفسهم في طريق الحياة — أي كاعتماد العراقيين على انكلترة في ذلك ! (راجع ص ٣٥ م ٢١) فقال:

---

(١) انما صرحت هنا باسم الخطيب مع التزامي كتمان اسماء الافراد في هذا المقام ولا سيما من كنت منتقدا لرأيهم وعملهم في مسألتنا في كل ما كتبت لان هذه الخطبة قد ذكرت أخيرا في ذيل كبير خطب فيه الخطيب ورددت عليه كما سيأتي

ألسنا كلنا متفقين على انقاذ بلادنا وتحريرها من ظلم أعدائنا الاتراك واخراجهم منها ؟ ـ وصار يلتفت الى الحاضرين من كل جانب فقال له بعضهم نعم وسكت الاكثرون ـ فقال ـ ليس بعد هذا أمر يقتضي الاتفاق عليه من الآن الا اظهار رغبتنا ورجائنا في حلفائنا الكرام ولا سيما انكلترة وفرنسة ان يساعدونا على اتمام مقاصدنا وان نحسن الظن بهم ونقوم بما تقتضيه السياسة من اظهار الثقة بهم وان ظهر لنا من أقوالهم وأعمالهم ما لا ينطبق على أفكار البعض منا ـ فمن العقل الآن أن نترك البحث في ذلك ومتى صار السوري في سورية واللبناني في لبنان والعراقي في العراق فعند ذلك يكون المجال امامنا واسعا في البحث عن مستقبل البلاد

ثم قال انه سمع من بعض الحاضرين كلمات تدل على سوء الظن والتشاؤم ومنه قول الكاظمي

قد منعنا الحق الصراح وأعطي غيرنا حقنا بلا استحقاق

وقال ان هذا في غير محله وان حقنا لنا لم يأخذه أحد بغير استحقاق الخ

خطاب الكاتب صاحب المنار

ولما اتم خطابه ظهر لي ان فتى في هذا الاجتماع المدبر عين اليقين وان المراد منه ان يؤخذ من جمهور زعماء السوريين ـ وكذا العراقيون على قلتهم هنا ـ اقرار بما قررته الدولتان كما أخذ من جمعية مؤتمر باريس وهو انهم يطلبون من الحلفاء اخراج الترك من بلادهم ويفوضون أمرها الى انكلترة وفرنسة ـ فنهضت في اثره متصديا للرد عليه فصفق الاكثرون ـ وألقيت خطابا حماسيا تدفق من قلب يقطر دما افتتحته بقولي انني اضطررت الآن الى مواجهة صديق بالرد عليه في وجهه لمصلحة الوطن كما اضطررت من قبل الى مواجهة صديق آخر بالرد عليه في وجهه لمصلحة الوطن وهو سليمان افندي البستاني ، وان كثيرا من الحاضرين هنا قد كانوا من شهود الاحتفال الذي أقيم للبستاني في فندق الكونتنتال عقب زيارته لسورية ومصر وارادة العودة الى الآستانة (وذكرت ملخص موضوع خطابه وردي عليه في ذلك الاحتفال) ثم قلت ان صديقنا الخطيب المفوه قال انه قد اضطر الى مخاطبتكم بصراحة غير معتادة وانا أقول اني مضطر الى مخاطبتكم بما هو أصرح مما خاطبكم لانه لا ينبغي أن يكتم عنكم شيء من أمر وطنكم الذي تعدون أرقى اهله علما واختبارا كما قلت

في تعليل ردي على صديقي البستاني في ذلك الاحتفال المشهور

قال الخطيب ان الدولتين الحليفتين قد صرحتا باسان مندوبين رسميين لهما بأنهما لا تستطيعان مساعدتنا في مؤتمر الصلح اذا بقي المدو في بلادنا الا اذا اتفق زعماؤنا في أوربة ومصر وأمريكة على الامرين الذين ذكرهما تبعاً للسر مارك سايكس أحد ذينك المندوبين وهذا ما كتمه الخطيب عنكم

أما أنا فاقول لكم ان الدولتين الحليفتين قد اتفقتا على قسمة بلادكم بينهما لاستعبادكم باستعمارها فقد جاءتني جريدة المستقبل الباريسية منذ ثلاث فاطلعت فيها على تفصيل هذا الاتفاق (وخلصته لهم كما نشرته بعد في الجزء الاول من المجلد الحادي والعشرين) فقاطعني الدكتور نمر قائلا انهم صرحوا بأنهم لا يعاملوننا بالضغط والتوسع الاستعماري ووافقه الدكتور شهبندر فقلت للدكتور نمر لا تقاطعني فاني ما قاطعتك — قال أريد تفسير العبارة وايضاحها كما قيلت. قلت أخر ما تريد ان تقوله الى أن أتم كلامي — قال سحبت كلامي. فمضيت في كلامي وهذا ملخصه

ان الترك ضعفاء وجاهلون مثلنا فلا يستطيعون أن يستعبدونا اذا نحن تنبهنا لحقوقنا وأما انكلترة وفرنسة فهما أقوى منا في كل شيء فلا نستطيع أن نتفصى من عقالها اذا هما استولتا علينا — هم أقوى منا في العلم هم أقوى منا في المال هم أقوى منا في السياسة هم أقوى منا في الحرب — ودارت الجيوش والسلاح والاساطيل البحرية والجوية — فاني لنا أن نتفصى من سلطانهم القاهر؟

نعم قد قالوا انهم لا يريدون أن يمتنوا علينا بالسيطرة الاستعمارية وان فرنسة تقود السوريين الى الحياة والاستقلال كما تفعل بريطانية في العراق ولعل مرادهم أنهم يجعلون لنا أميراً منا وكثيراً من المستخدمين، وهذا تصريح بأنهم يريدون استعمار بلادنا والسيادة علينا وانما يمنون علينا الخطب بأنه استعمار هين لين لا قاس شديد. ونحن نريد أن نكون احراراً مستقلين، لا عبيداً مسودين، سواء علينا أكان السيد رحيما بعبيده أم لا. على أن هذه الطريقة اللينة في الاستعمار هي امثل الطرق التي اهتدوا اليها بالتجربة ولكنها امثل وخير لهم لا للشعوب التي يسودونها، فانها تخدر اعصاب الجماهير وتخدع عامة الامة بأن حكامها منها ليكونوا خاضعين لها راضين بأحكامها، وبذلك يتعذر على الزعماء العارفين الدفاع عنها والمطالبة بحقوقها، لان الهوة بين اقلتهم تسهل مراقبتهم وانزال

غلب بهم ، اذا لم تكن وراءهم امة تؤيدهم . قال الفونس اسكيروس في
بابه اميل القرن التاسع عشر : ان شر الحكومات الحكومة المستبدة اللينة
ملل ذلك بنحو مما اشرنا من تحذيرها لاعصاب الامة حتى لايبقى لها مجال
كر في الخروج مما هي فيه . والشواهد على هذا في مستعمراتهم في الشرق
لغرب ظاهرة جلية كتونس والجزائر والولايات المستقلة وغير المستقلة في الهند.
بي رأيت اهل الولايات الهندية التي يسمونها مستقلة أبعد من غيرها عن فهم
معنى الاستقلال والتفكر فيه دع الاستعداد له والسعي اليه، وعلمت ان رؤساء
لحكومات اطوع للانكليز من ظلهم واشد قبولا لكل مايقترح عليهم . واما
لولايات التي يدير امرها الانكليز بأنفسهم فهي التي تناضل وتستقد وترجو
لاستقلال وتستعد له وتعتقد ان ستناله في يوم من الايام

ومن عجائب السخرية ان هؤلاء الناس يدعون تحرير الامم والشعوب وانهم
يدعون باقتسام بلادنا قودنا الى الحرية والاستقلال والمستقبل الزاهر الجميل!
سمون الحقائق باسماء الاضداد ، وما ادري بأي مقود اورسن يريدون ان يقودونا
الى الاستقلال الذي لانصل اليه بقيادتهم الا بعد الموت والورود على النار ! ومتى
انت الشعوب تقاد الى الاستقلال كما تقاد الدواب حاملة الاثقال؟ يأخذون منا
بالفعل ويجودون علينا بالالفاظ والاسماء التي تخفف وقعها على قلوب الجاهلين،
كالحماية والرعاية والاستشارة والمساعدة والانتداب وغيرها)

(وقلت) انني اعتقد اعتقاداً يقيناً انه اذا كان في بلادنا رجل واحد من
ؤلاء الناس اعطي حق المراقبة على حكومتها وسمي عبد السوريين او عبد
عرب فانه يكون هو السيد المالك بالفعل وتكون جميع الامة مستعبدة له .
حرية والاستقلال معنى واحد يقابله العبودية وهي حقيقة واحدة لايتغير
معناها بتغيير اسمائهما . ولو انهم اتفقوا على ان تكون بلادنا مستقلة استقلالا
ما في سياستها سائر شؤونها وقالوا لنا اتفقوا على صفة حكمها وادارتها لنساعدكم عليه
متجين باتفاقكم لكان لهذا الطلب معنى ، ولكنهم اتفقوا على اغتيالها وامرونا
ن نتفق على طلب هذا منهم لنكون حجة على انفسنا باننا بخسنا انفسنا بأيدينا ثم
سمي المرء حياة والاستعباد استقلالا . اما والامر كذلك فالاليق بكرامتنا
الواجب على كل من ان يقبع في كسر بيته (أي في زمن الحرب والحكومة

العرفية) وينتظر الفرج من الله تعالى

وانني أختم خطابي بفكاهة تناسب المقام عسى أن يكون أسلوبها الفكاهي مخففاً لمرارة ما سمعتم من تهديد الخطر الاكبر لوطنكم: حكي أن رجلا مسلماً تنصر في جبل لبنان وذهب الى (دير قزحيا) الشهير وانتظم في سلك رهبانه، واتفق أن كان الرجل مترفاً وان وجوده في الدير كان في أيام الصوم الكبير فكان لا يجد من الطعام الا المعدس المسلوق ونحوه من النتوج الخالي من الدسم فاشتد به القرم (شهوة اللحم) فسرق في ليلة دجاجة من دجاج الدير وذبحها وشرع في سلقها بعد أن نام الرهبان فاتفق أن مر بعضهم وشم الرائحة من حجرته فطرق بابه وكلمه فلم يجبه فشكاه الى الرئيس فجاء الرئيس بنفسه وسأله عما في القدر فقال سمكة يا أبونا. قال من اين جاء السمك في جنح الليل من البحر البعيد الى هذا الجبل. قال أما قال سيدنا يسوع بالايمان يكون لكم كل شيء؟ قال الرئيس بلى وانا نحب أن نرى هذه السمكة التي جاءت ببركة الايمان بسيدنا يسوع لنزداد ايماناً بمشاهدة هذه العجيبة — وكشف القدر فرأى الدجاجة. قال هذه دجاجة يا أخ حنا لا سمكة. قال قل سمكة يا سيدنا. قال كيف أقول سمكة وأنا أراها دجاجة وهل يغير الحقائق تغيير الاسماء؟ قال اتقول ان تغيير الاسماء لا تأثير له يا أبانا؟ قال نعم لا يغير حقيقة المسمى، قال اذاً ماذا كان اسمي انا؟ قال محمد. قال وما اسمي الآن؟ قال حنا. قال اذا كانت الاسماء لا تغير الحقائق فانا مسلم اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول وآكل الدجاجة واسافر من الدير صباحاً — فاذا كانت الدجاجة انقلبت سمكة فاستعباد المقتسمين لبلادكم ينقلب استقلالا والسلام

فضحك الحاضرون وصفقوا تصفيقا شديدا وانصرفت وقال لي بعض من شيعني الى باب الدار من أعضاء حزب الاتحاد اللبناني انك قد أرحتنا بكشف المخبأ وكانوا قد طلبوا مني الخطابة فأبيت والمسألة مرتبة

محاورة مع ضابط بريطاني

بعد مرور أسبوع أو هذا الأسبوع أو الكثيرون من حاضريه يتوقعون الاعتقالي فيه أتاني مندوب سافواي مقر البعثة العسكرية البريطانية لاحمل مقالة المنار تراقب في ... العربي منه وزيارتي وبين ضابط بريطاني في مصر فذهبت لمكتب محاورة كان من المسائل فيها ... الجواب أخلصها لي

(قال) هل سمعت ما دار بباريس بشأن سورية وخطبة السر مارك

سايكس ؟ قلت نعم (قال) مارأيك فيها ؟ (قلت) انها تسوء السوريين جداً ولاسيما المسلمين وعللت له ذلك بما هو معلوم بالضرورة. قال كان الغرض من تلك الخطب والتصريحات ارضاء السوريين فهل جاءت بضد المراد منها؟ قلت انها جاءت بالاثر الطبيعي الذي يجب أن يترتب عليها وان كان المراد ضده — قال : ان السر مارك سايكس صرح في خطابه بان الحجاز قد استقل فلا يعقل ان يرفض استقلال سورية التام والحجاز مستقل . قلت هذه مسألة نظرية ذكرت مع كلام ينقضها وهو أن انكلترة وفرنسة اتفقتا على اقتسام بلادنا ... قال انهم صرحوا بترك العزم على السيطرة الاستعمارية . قلت لامعنى لهذا وقد اقتسم البلاد الانكم تريدون الرفق والاحسان في ادارتها ونحن نريد الحرية والاستقلال الصحيح ، لا الاستعمار اللين الاليف . وذكرت له اجتماع السوريين وما قلته فيه بشأن الدولتين وقسمتهما للبلاد وهذا التصريح (وعرضت عليه) فأجاب جوابا ذكر فيه القسمة ثم عاد الى حصر الكلام في سورية وفرنسة:

قال ان قسمة البلاد بيننا وبين فرنسة يراد بها مناطق النفوذ المالي بمعنى أن أحدنا لا يعارض الآخر في منطقته بالاعمال المالية وقد صرح وزراء فرنسة رسميا بأن حكومتهم لا تنوي فتح شيء من البلاد ولا قهر شعب على الخضوع لها فهي تريد مساعدة السوريين مساعدة صداقة لا قهر وتغلب . قلت ان هذا الكلام يقوله وزراء كل دولة من دول الفريقين المتقاتلين لاقامة الحجة على الفريق الآخر ولاقناع الاحرار والاشتراكيين حتى من امتهم بما لا يرضون الاستمرار على الحرب بدونه — ولاجل هذا تطلبون منا تفويض أمرنا اليكم لتقولوا ان هذه الامة أو الشعب يطلب منا مساعدته على تحرير نفسه ومساعدته على استقلاله فلا مندوحة عن اجابة طلبه حبا في الانسانية

قال ماذا كان ينبغي ان يقال في هذه المسألة ليرضيكم ؟ قلت لو كانت الدولتان تريدان استقلال بلادنا لعرفتا كيف ترضياننا، ذلك بأن تقولا اننا قررنا ان تكون البلاد العربية دولة مستقلة كبلجيكة واننا لا نعقد الصلح الا اذا كان هذا الشرط مما يقرره مؤتمره — قال ان فرنسة لم يمكنها ان تصرح بأكثر مما صرحت به ولكن دعنا من الاقوال الى الافعال. ماذا تريد ان نعمل لنثبت لكم حسن قصدنا في بلادكم ؟ ان جيشنا الآن في فلسطين ويجوز أن يتمكن من الزحف على دمشق وأخذ سورية ومن المعلوم ان سورية في حالة سيئة من

الفقر والضعف وان كثيراً من رجالها الاحياء منفيون ومهاجرون فهل تأمن اذا تركناها وشأنها بعد اخراج الترك منها أن تقع في الفوضى والاختلال وزيادة الحاجة والفتن؟ ـ قلت ان الكلام فيما ينبغي فعله في سورية ماجاء وقته لانكم لم تفتحوها ولو فتحتموها وسألتموني لطلبت رؤية البلاد ومن فيها وحينئذ اما ان اقول اتركوها ففيها من الرجال من يقوم بأمرها وأما ان أطلب مساعدة مالية موقتة، ولكننا نرى ان مانخافون وقوعه من الفتن في سورية ان تركت وشأنها وقع بالفعل في روسية فهي في فوضى لا أمن فيها على نفس ولا مال ولا مصرف (بنك) ولا معبد ولا مصلحة ثم انتم لاتقبلون من المانية دعوى ابقاء جنودها فيها بحجة من أمثال هذه الحجج كحفظ الامن واعادة النظام مع أن البلاد الروسية مشابهة للبلاد الجرمانية ويخشى أن تنتقل العدوى منها اليها ـ فسكت وانتهت المناظرة بذلك

ملخص حال السوريين بمصر في زمن الحرب

وجملة القول ان السوريين المقيمين بمصر واللاجئين اليها كانوا زمن الحرب في أمر مريج وقد عبث الاجانب باكثر الذين يتمرسون بالسياسة منهم فكانوا يخدمونهم بكل مايريدون وقد خاننا أكثر الذين كانوا عاهدونا وأقسموا أغلظ الايمان على السعي لاستقلال البلاد العربية وعدم الرضا باحتلال الاجانب لشيء مامنها فارتد افراد من اشهر الاستقلاليين وآمن افراد من الاحتلاليين وتذبذب آخرون ممن كان يظن فيهم الثبات ومنهم من كان نصف استقلالي يرى انه ينبغي مشايعة الاجنبي على أخذ بعض البلاد العربية في مقابلة مساعدته اياانا على استقلال البعض الآخر غافلا عن استحالة ذلك فلم توجد جماعة تسمى للاستقلال التام الناجز بصدق وثبات على كثرة ماتألف من اللجان والجمعيات الاجمية الاتحاد اللبناني. بل سميت بعض الجماعات الاحتلالية جمعية الاستقلال. وكان مما سمعته باذني من اثنين من مؤسسيها في (٢٠ و٢١ ربيع الاخر سنة ١٣٣٥ و١٢ و١٣ فبراير سنة ١٩١٧) انهما امرا مع آخرين بالذهاب الى سورية من طريق العريش لتأليب العرب وحملهم على الثورة والخروج على الترك فكتبت الجمعية تقريرا بينت فيه انه يجب العمل في سورية باسم الشريف سواء كان بدعوة البدو الى القتال أو بغير ذلك فان لم يفعل الانكليز ذلك وقعوا في مثل الغلط الذي ارتكبوه في العراق فادى الى قتال العرب لهم وتأخير فتحه وان العرب في سورية سيفعلون ذلك اذا لم يكن عملهم باسم الشريف. وكان

المتكلم من صنف الضباط قال واننا اقنعناهم بذلك بالتقرير المشترك وبالكلام - وصدقه رفيقه وهو ممن جاهد بالخطابة والكتابة في هذه السبيل وارسل الى بلاد الدروز مرتين لاستمالتهم الى الانكليز وكنا قبل ذلك غششنا به واعطيناه اعتمادا فكان من الخائنين واراد ان يتوسل بالاعتماد للايقاع بنا

المذكرة الاستقلالية للرئيس ولسن

قد كان أول سعي مشترك مع جماعة للاستقلال التام بعد ما بيناه من الجهاد السابق مذكرة كتابية لرئيس جمهورية الولايات المتحدة في اثر ظهوره في ميدان العمل ونذائه بحرية الامم وقعها كاتب هذا والشيخ كامل القصاب واسكندر بك عمون والدكتور مشاقه والدكتور شهبندر وخالد بك الحكيم بينا فيها ان البلاد السورية وسائر البلاد العربية لا ترغب الا في الاستقلال التام ولا تقبل غيره باختيارها وانها اذا استفتيت في ذلك وكانت حرة في الجواب فان سوادها الاعظم يصدق ما نقوله عنها اذ نحن من أعلم أهل البلاد بحال أمتهم . وقد جاء استفتاء اللجنة الاميركية بعد ذلك مصدقا لهذه المذكرة ولعلنا ننشرها بعد

عهد السبعة

ولا أترك في هذه الخلاصة التاريخية ما نشر في بعض الجرائد السورية وسمي بعهد السبعة وحقيقته ان الالمان أرسلوا بعد كسر الروس وعقد الصلح معهم جيشا ألمانيا الى البلاد العثمانية عن طريق سيباستبول فخافت انكلترة ان تكون وجهته العراق فكان من أعمالهم الاحتيالية بذلك ان أقنع بعض المشتغلين بالسياسية منهم بمصر سبعة من الذين كانوا يجتمعون بهم بأن يسعوا الى مساعدتهم على تكوين قوة حربية للدفاع عن البلاد العربية على ان تتعهد بريطانية المعظمى بالاعتراف لهم بكل ما يأخذونه من بلادهم بالسيف فيكونون مستقلين فيه . ولما لم توجه تلك القوة الالمانية الى العراق سكت الانكليز عن هذا العمل وأعرضوا عنه

فصل ثان في المسألة العربية بعد انتصار الحلفاء

كل ما سبق بيانه بالايجاز من أعمال الحلفاء وتمهيدهم السبل لاستعمار البلاد العربية كان في أثناء الحرب التي كانت كفتهم فيها مرجوحة وكان الخوف عليهم أقوى من الرجاء لهم ولذلك كانوا يحاولون اقرار أهل البلاد اياهم ومساعدتهم

لهم على استعبادهم مع الشكر لهم على ذلك لانهم سموه تحريرا للبلاد من ظلم الترك وما كان الترك مستعبدين للناس ولا سالبين لشيء من أملاكهم ولا حريتهم الدينية والشخصية ولا أولى جنف في الضرائب بل هم في كل ذلك أوسع حرية ورحمة من جميع الحلفاء في مستعمراتهم. ولولا فظائع بغاة الاتحاديين الاخيرة واستغلال الحكام من الترك والعرب لوسوسة عبد الحميد على نفسه قبلهم لكانت ذنوب الترك كلها سلبية أي انهم ليسوا معمرين ولا مرقين لشعوب دولتهم في العلوم والفنون والاعمال ولا محسنين لعمارة الارض واستغلالها

وقد سبق لنا قول في انتهاء الحرب وكيف كانت لمصلحة الحلفاء وتكرر ذلك في المنار (١) ومقالة في (المسألة السورية والاحزاب) بعد الحرب (٢) وفيها بيان استفتاء اللجنة الامريكية لاهل البلاد السورية في مستقبلهم وما يسمى الانتداب، ومقالة في (استقلال سورية والعراق) (٣) وأقوال أخرى في شؤون سورية بعد الاحتلال المختلط فيها وثائق تاريخية تراجع في مجلدي المنار ٢٠ و٢١. وقد نشرت الجرائد العربية في سورية ومصر وأمريكة الشمالية والجنوبية الشيء الكثير مما كان من أمر المحتلين قبل الشروع في تنفيذ اتفاق سنة ١٩١٦ وبعده ولا سيما الثورات والقتال في كل من سورية الشمالية والجنوبية (فلسطين) — ولا تزال في ارديار — واعلان المؤتمرين السوري والعراقي لاستقلال القطرين وجعل فيصل ملكا على سورية واختيار أخيه عبد الله ملكا للعراق وما كان من زحف الجنرال غورو على دمشق واخراجه لفيصل منها ثم جعله البلاد السورية عدة دول تحت سلطته، كما نقلت عن رقيات أوربية وجرائدها بعض أخبار الثورة الكبرى في العراق التي كانت تقاتل أكثر من مئة ألف جندي من العساكر البريطانية واضطرار انكلترة بذلك الى العدول عن جعل العراق تابعة للهند الانكليزية واعلانها العزم على تأسيس دولة عربية بريطانية في بغداد وتأليف حكومة وطنية موقتة فيه والاستمداد لانتخاب جمعية وطنية تؤلف الحكومة الثابتة وتختار الامير أو الملك لها وترشيحهم الشريف فيصل للعراق وبث الدعوة له، وتأليف حكومة جديدة في شرق الاردن تابعة لحكومة القدس الصهيونية الانكليزية

(١) راجع ص ٦ من فاتحة المجلد ٨١ ومقالة عاقبة الحرب فيه (ص ٣٣٧)
(٢) ص ١٩٧ منه (٣) (ص ٤٣٤) منه

وجعل الامير عبد الله أميرا عليها بعد ان جاءها من الحجاز بقصد الاستمداد لاخراج فرنسة من سورية وبث الدعوة لذلك وجدد المبايعة لاخيه «الملك فيصل»

كل ذلك معروف بالتفصيل لقراء المنار في مصر وسورية وأمريكة وسنزيده هنا بيانا وتحقيقا لم نسبق الى مثله فيما نعلم كما ينتظره الكثيرون منا ونحمد الله انه كسابقه حجة بينة على اننا كنا على الحق والصواب فيما كنا نصرح به في مصر في أثناء الحرب وبعدها وفي سورية مدة السنة التي أقمناها فيها من اتفاق الحلفاء الانكليز والفرنسيس بمساعدة الشريفيين على استعمار بلادنا السورية والعراقية على ما بينهم من التنازع والخلاف السري والعلني في ذلك. وقد انفردنا بالسبق الى معرفة ذلك والمجاهرة به والتعرض بذلك للخطر وعدم انخداعنا لاحد في ذلك ولا خداعنا لاحد بل كنا نقول الحق ونصح باتباعه لقومنا ولخصومنا. وهذه منة من أكبر منن الله تعالى علينا ما كنا لولا فضله وتوفيقه أهلا لها في تلك المواقف التي زلت فيها اقدام الافراد والشعوب والدول

نصحنا للانكليز والفرنسيس ومذكرتنا للويد جورج

نصحنا للانكليز قولا وكتابة فيما نعتقد ان فيه الخير لنا ولهم وللانسانية وكان آخر تلك النصائح مذكرة ارسلناها الى مستر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية منذ سنتين كاملتين بينا له فيها ان ما كنا نصحنا به لرجالهم بمصر قد ظهر صدقه وان ما جروا عليه مع حكومتهم في المسألة المرية مخالفا له كان هو الخطأ — بما وقع في العراق وسورية ومصر والهند — وان انكلترة ستكون هي المنبوذة بقسمة تراث العالم الاسلامي بين الحلفاء بعداوة الشرق وحسد الغرب لها وان عداوة اكثر من ثلاثمائة مليون من المسلمين احتقارا لهم بضعفهم ليس من العقل والحكمة لانهم لا يكونون أضعف من ميكروبات الامراض والاوبئة — وانهم سيكونون به اتحادا اسلاميا يساعدهم فيه الروس والالمان ويكون خصما لهم في زمن هم مستهدفون فيه لعداوة أكثر شعوب أوربة. وان الخير لامتهم في تأسيس الصداقة بينها وبين العالم الاسلامي باستقلال الشعوب العربية (وفي مقدمتها الشعب المصري) والتركية والفارسية جميعا...

ونصحنا لرجال فرنسة في بيروت بمثل ذلك بعد ان ذكرنا لهم ملخصه وما نطلب منهم الا استقلال سورية وربح صداقة الامة المرية كلها بذلك واتقاء ما يقع عليهم من الغبن بعداوتها ومنه ان سورية لا تسلم لهم في المستقبل وقد

قال لناموسيو رو بيردوكيه سكرتير الجنرال غورو ان هذا الرأي جيد وهو من الممكنات دون الخياليات ولكنه يحتاج الى تمحيص وتفصيل بين عقلاء الفريقين بكثرة البحث ولا سيما في طريقة تنفيذه في الحال الحاضرة

الشريف فيصل في عهده الاخير بسورية (١)

ونصحنا للشريف الاكبر — كما تقدم — ثم لنجله الامير فيصل — فأما الاول فله خلق مطبوع معروف فسهل على مخاطبه ان يعلم ما يقبله ويجري عليه وما لا يمكن ان يقبله وأما الثاني فقلما يعرف له رأي مستقر أو يثق مختبره بأنه أقنعه بشيء وان كان غير المختبر له يظن أنه أقنعه بكل شيء للين عريكته ولطف معاشرته وكثرة مواتاته وقلة معارضته وكراهته مواجهة أحد بما يكره الا اذا غلبه الغضب فهو سريع الفيئة بعد الغضب وقد عاشرته زهاء نصف سنة كنت ألقاه في أكثر أيامها ولم أقف له على عقيدة راسخة في السياسة الا استحالة اخراج فرنسا وانكلترة من البلاد العربية الآن ووجوب العمل مع احداهما وخدمة البلاد بمساعدتها في ظل وصايتها ، والاستعانة بموادتها على تخفيف وطأتها على انه لا يصرح بهذا تصريحا جليا . وهذه نظارية كل من وانوا الاجانب في هذا الطور الذي نحن فيه كحكمي بك المظلم وداود بك عمون فلا ارى فرقا بينهما وبين الامير فيصل والامير عبد الله وان كان أتباع الاميرين يعدون هذين من الخائنين لدينهم ووطنهم والاميرين من المحررين لها ولعلنا نكتب مقالا في ترجمة الشريف فيصل وسيرته في سورية يجمل حقيقته ماثلة لكل قارئ

جاء الامير فيصل سورية من فرنسة (في ٢٣ ربيع الآخر سنة (١٣٣٨) يناير (كانون ١ سنة ١٩٢٠) وهو يعتقد انه باتفاقه مع كليمنصو على قبول الوصاية الفرنسية مع تخفيف شروطها قد خدم سورية أجل خدمة ولكنه لم يستطع ان يقنع به الخاص بذلك وهو الذي عمل له كل شيء وحاول أن يؤلف حزبا من المحافظين يعين به على ذلك وكان ذلك حزب عبد الرحمن بك اليوسف الفرنسي النزعة الذي يسمى بالحزب الوطني ولكنه لم يستطع مساعدته ولا الاستعانة به ، بعد أن تعرف اليه

(١) لقبناه هنا بالشريف لانه اللقب المشهور الثابت له وقد صار أميرا مؤقتا من سوريه من قبل الحلفاء ثم ملكا عليها بنصب المؤتمر السوري العام وموافقة الشام ثم مهاجرا سياسيا في أوربة ثم مرشحا من بريطانية العظمى لدولة العراق

وتنكر لحزبه، وظل سلطان الحزب الاول عليه أقوى من سلطانه على الحزب على ما أرقم فيه من الشقاق فالحزب هو الذي منعه من العودة الى أوربة وحمله على قبول اعلان استقلال سورية وجعله ملكا عليها وارضاه بجعل ملكها ارثا في ذريته وبجعل الراية الحجازية راية السورية مع زيادة نجم ابيض في الزاوية الحمراء التي هي رمز علم شرفاء مكة فيها وجعل القواعد التي بنى عليها المؤتمر السوري اعلان الاستقلال قائمة على اساس الاعتراف بانه قد حارب الترك من قبل والده مع جيوش الحلفاء لاجل تحرير البلاد العربية وتحقيق استقلالها الذي كان ينشده احرارها وارادوا ان يكون هذا حجة على الحلفاء وذلك عززوه بتصريحات وزراء الحلفاء التي كانوا يفوهون بها في ايام الحرب كما تقدم بيانه من قبل. وقد كان الواضعون لقرار المؤتمر من اعضاء حزب الاستقلال السوري قد عرفوا الحقائق في هذه الشؤون اذ زالت تلك الظلل والغواشي التي كانت تحجبها عن ابصارهم ثم عرفوا كل احد بعد رفض الحلفاء التصديق على الاستقلال وما كان من أعمالهم العسكرية والادارية في سورية الجنوبية والشمالية . يدل على ذلك ما كان يلقى في المؤتمر السوري العام بدمشق من الخطب في انكار تلك الاعمال والطعن فيها وما كان بين المؤتمر وبين الملك فيصل ووزرائه مما نلم به بعد

ولقد علم الذين قاموا بدعوة اعلان الاستقلال وتهيئة أسبابها وقدماتها بعد ممارسة الحوادث ان فيصلا قائد الحلفاء موكول اليه حفظ الامن في المنطقة الشرقية الى أن يفرغوا من ابرام ما يريدون من أمر مستقبل البلاد — وانه قوة رسمية ومالية فان الانكليز كانوا يدفعون له راتبا وكانوا يعطونه حصة المنطقة الشرقية من جرك حيفا وصار الفرنسيس يعطونه مثل ذلك من جرك بيروت بعد الموادة، وقطعوه عند المحادة، — وانه يائس من الاستقلال التام الناجز وان كان أولى من غيره بحبه — وانه لين سلس كان في أول العهد يسير في البلاد كما يشاء البريطانيون ثم جاءها أخيرا من فرنسة يدعو الى الاتفاق مع الفرنسيس — فارادوا ان يستفيدوا بما أوتي من قوة وضعف بما ارادوا من اغتنام فرصة الحرية التي نالتها المنطقة الشرقية باسمه وتحت قيادته باعلان الاستقلال التام لسورية المتحدة بجميع ما علقوا

يجعلوا الحلفاء تجاه أمر واقع بصفة مسألة لهم معرفة بفضلهم وملكية قد تدمن قواد حلفهم،

فان ساعد القدر على قبولهم ذلك فهو المراد والا فان حال البلاد معهم بعده لا يخشى ان يكون شرا مما كان قبله . وذلك انهم حينئذ ينفذون الاستعمار الذي سموه انتدابا بالقوة العسكرية فيكون وجودهم فيها مخالفا للحقوق الطبيعية والاساسية ولمعاهدة الصلح الكبرى وما فيها من عهد عصبة الامم المصرح فيه بأن البلاد المشروط في استقلالها قبول الانتداب يجب ان يكون لاهلها الحق الاول في اختيار الدولة المنتدبة وشكل الحكومة التي ترضاه . وبهذا يكونون غاصبين ويكون البلاد الحق الذي لا يرد في معارضتهم عند كل فرصة ممكنة. واما اذا قبل الشعب الانتداب باختياره فانه يكون قد قتل نفسه بيده

مجمل ما كان بعد اعلان الاستقلال

أعلن الاستقلال بصفة نادرة المثال و بلغ امر اعلانه للدول فجعله الحلفاء محلا للنظر وكان جواب انكلترة لفيصل انها تعترف له بصفته حاكم على رأس حكومة مستقلة لكن يجب ان تقرر الصفة الرسمية في مؤتمر رسمي ودعته الى حضور مؤتمر (سان ريمو) فتردد أولا لان الرأي العام لم يرتح الى سفره وفي مقدمته المؤتمر السوري الذي كان يلح عليه بوجوب الاستعداد للدفاع عن البلاد وتؤيده جميع الاحزاب. ثم اقتنع الاكثرون باستحسان السفر بعد إلحاح انكلترة به وقد طلب من الجنرال غورو في ٨ يوليو (تموز) تعيين سفينة تقله الى أوربة فاجابه بانه يجب عليه قبل سفره أن يجيبه الى مطالب طلبها منه من أهمها اباحة استعمال الخط الحديدي من رياق الى حلب لنقل الجنود الفرنسية والذخائر الحربية وانذره انه اذا سافر قبل تنفيذ هذه المطالب من طريق آخر فان فرنسة تكون حرة في أعمالها ، ولم يقبل تفويض النظر فيها الى لجنة مختلطة من العرب والفرنسيس والانكليز حسب الاتفاق مع الرئيس كما يأتي

انذار الجنرال غورو للملك فيصل

ثم أرسل اليه الجنرال غورو في ١٤ يوليو انذاره المعروف الذي صرح فيه بمطالبه الخمس وهي الاعتراف بالوصاية الفرنسية على سورية بلا شرط ولا قيد وتسليم الخط الحديدي المذكور آنفا للسلطة العسكرية الفرنسية ـ والغاء الخدمة العسكرية الاجبارية وجعل عدد الجيش المتطوع كما كان في العام الماضي وتسريح سائر الجنود ـ ومعاقبة

المجرمين المؤسفين للمصابات والمحرضين على فرنسة — وقبول ورق البنك السوري الذي سمته فرنسة بجعله نقدا وطنيا رسميا. وجعل آخر موعد لاجابة هذه المطالب نصف الليل الذي ينتهي به اليوم ١٨ من الشهر

لم يكن في وسع الملك فيصل المبادرة الى اجابة هذه المطالب لان المؤتمر السوري العام والاحزاب السياسية كلها كانت لغير راضية منه ولا من حكومته لعدم قيامهما معها يجب من الاستعداد لحفظ الاستقلال والدفاع عنه ولهذا اضطروه الى اسقاط وزارة علي رضا باشا الركابي ثم رأوا ان وزارة هاشم بك الاتاسي التي خلفتها لم تكن أقوى منها فحاولوا اسقاطها، ولما شعروا بهذا الانذار الذي أعقبه الضعف والاهمال وسوء الادارة اشتد هياجهم وسخطهم وسرى الهياج الى سائر طبقات الاهالي الذين اندفعوا الى الاستعداد للدفاع عن البلد وصاروا يطعنون في الملك فيصل جهارا ويتحدثون بلا يقنع به حتى انه وضع من كان لديه من الجند الحجازي حول داره لحمايتها — وسعى الى الجنرال غورو ملتمسا منه تعديل مطالبه فأبى —

وفي غرة ذي القعدة — ١٧ يوليو كتب الي رئيس الوزراء أن الملك يرغب أن ألقاه مع جميع أعضاء المؤتمر في داره مساء فأجبته الطلب وقابلتهم وزرته فشرح لنا الحرج الذي وصلت اليه حال البلاد وهيجان العوام بغير عقل وخذلان انكلترة له حتى لا يرجو منها أقل مساعدة كما أبرق اليه محمد بك رستم من لندن وان الحكومة حجج على الجنرال غورو لاستطيع الادلاء بها في أوربة وله عليها حجج بعضها حق وبعضها باطل ينشرها حيث شاء. ثم طلب من الاعضاء أن يكتب اليه كل منهم برأيه على حدته في كتب مختومة وعاهدهم على انه يعمل بها ولا يطلع احداً عليها فانصرفوا وهو يحسب أن سيكتبون ولكنهم لم يكتبوا اليه وعدوا اقتراحه خداعا يريد ان يحتج به على قبوله المطالب الفرنسية ويجعل التبعة على المؤتمر...

ثم ان المؤتمر عقد في (٣ ذي القعدة ١٩ يوليو — تموز) اجتماعا سريا غير رسمي تبارى فيه الخطباء في الطعن في الحكومة لاعتدائها ثم قررت التسليم بمطالب الجنرال غورو ثم عقدوا جلسة رسمية اكتظ مكان المستمعين بحضورها من الوجهاء ورؤساء الاحزاب وأعضائها وقرروا فيها بالاجماع ان قرار المؤتمر التاريخي المتضمن لاستقلال

سورية ووحدتها ورفض الهجرة الصهيونية وملكية فيصل قرار واحد اذا نقض بعضه نقض كله وان كل حكومة تقبل الوصاية لا تكون حكومة شرعية وأنه لا يعتد بمعاهد لا يقبلها المؤتمر - وقد طبع هذا القرار ونشر في العاصمة

وفي اليوم التالي (٤ ذي القعدة ٢٥ يوليو) أصدر أمره بتأجيل عقد المؤتمر شهرين لان المجالس النيابية تتقفل في مثل هذه الحال الحربية - وقد قرأ وزير الحربية الامر على من المؤتمر وكان ممه رئيس الوزارة وانصرفا والجين ممتعضين، وكان بعض الاعضاء يريد عدم امتثال هذا الامر فأفهمهم بأن هذا خير للمؤتمر واني سررت به ولولاه لاقترحت على الاعضاء ان يقرروا ذلك من تلقاء انفسهم، ذلك بأن دمشق كانت في أشد الهياج والسخط على ملكها ووزارته سواء في ذلك الاحزاب والجماعات والافراد وكلهم يرجون من المؤتمر مالا قبل له به — وما تم الا إلزام الملك والوزارة برحيلهما الجنرال فوره والدفاع عن البلد أن هو جمت بغيا وعدوانا او اسقاطهم واقامة حكم عسكري مفوض (دكتاتور) يدافع عن البلاد بكل الوسائل الممكنة ، ولا يوجد البلد من هو أهل لمنوط ذلك به والثورة الداخلية غير مأمونة وكل ما يترتب على ذلك من الفوائل يكون حينئذ في عنق المؤتمر الذي لم يأت أثما ولا ادخر في الخدمة وسعا وقد أصبحت الامة كلها راضية عنه بعد ان كادت الدسائس تفيرها عليه، واني علمت أن التجنيد الاجباري الذي قررته الحكومة بضغط المؤتمر والحاحه قد كان عم سوريا وانها لم تقصد به الا إلزام الامة ما يرضيها وإلزام فرنسة ما يحملها على التماه فيما تطلبه و يطلب منها !

انفض المؤتمر وكانت المراسلة بين الملك فيصل والجنرال فوره على قبول موا انذاره متصلة فلما أصر على قبولها كلها أمر الملك قبل كل شيء بتسريح الجيش السوري من ثكناته ومواقعه الحربية واهمها مضيق مجدل عنجر الحصين في طريق جيش الجنرال فوره الزاحف على الشام فسرح الجيش غير نظام فترتب على ذلك أن نهب الاسلحة والذخائر واحدث ثورة في شوارع دمشق وهاج الشعب هياجا شديدا وكثر التصريح في الشوارع بالهتاف للمؤتمر وبسب الملك فيصل وأبيه والتهديد بخيانته ووجوب قتله وقد اضطرت الحكومة بمن بقي عندها من الجند لحفظ الامن ان تقا

الثورة بالسلاح حتى انها استعملت لمدافع الرشاشة في ذلك وقتل كثيرون — قيل ٥٠ وقيل ٧٠ — وجرح كثيرون — قيل ١٥٠

قبلت الحكومة برياسة الملك فيصل جميع مطالب الجنرال غورو ومنها قبول الوصاية بلاشرط ولاقيد فاصبحت بذلك ساقطة مع ملكها غير شرعية بقرار المؤتمر المذكور آنفا. ثم انها علمت في اليوم التالي لتسريحها الجيش (وهو ٢١ يوليو) ان جنود الجنرال غورو زاحفة على دمشق وعلمت بعد المراجعة بين الملك وبينه ان حجته على الزحف ان جواب القبول تأخر عن موعده وهو الساعة الثانية عشرة من نصف ليل وكان قد أصدر أمره للجيش بالزحف ولا يمكنه ايقافه بعد وقد احتل المواقع الحصينة كمجدل عنجر — وهي تقول انما كان الذي تأخر وصوله اليه هو ما طلبه من التفصيل لامر التسليم بعد أن وصل اليه البلاغ الرسمي بقبول الشروط في عاليه ، وان سبب تأخر برقية التفصيل انقطاع السلك البرقي باستعمال الجيش الفرنسي له

عظم الخطب على فيصل ووزرائه لما رأوا انهم سلموا بقبول الوصاية مع تلك الشروط المخزية ليدفعوا الاحتلال عن دمشق ويبقوا فيها متمتعين في ظل الوصاية وخدمتها بما كانوا عليه بعد أن قالوا في عدم امكان قبولها ما قالوا من المبالغات ونبذ فيصل من يقبلها بأقبح الالقاب — وعلموا أنهم خسروا كل شيء وظهر لهم أن العقل والكياسة في التسليم أن يكون آخر ما يأخذ من الشروط تسريح الجند — فصدر الامر لباقي الجيش بالتوقف عن الانسحاب فوقف غربي (خان ميسلون) ووقف الجيش الفرنسي الزاحف وراءه على بعد مرمى القنابل منه وجعلت هذه فرصة لاستئناف المفاوضة في ايقاف الزحف على دمشق وتولى ذلك ساطع بك الحصري (وزير المعارف) فسافر الى الجنرال غورو فلم يلق نجاحا

وفي يوم الخميس (٦ ذي القعدة — ٢٢ يوليو) زار فيصل وزارة الحربية وكلم جموع المتطوعة وحثهم على الجهاد وكان جمع الزعماء ورؤساء الاحزاب وبلغهم انه أعلن الحرب رسميا ونشر ذلك في الجرائد وصلى الجمعة في يومها في الجامع الاموي وسعد المنبر بعد السلاة وحث الناس على الجهاد دفعه لحماية الدين والوطن — فقال كثير من الناس انه يريد بهذا استعادة مكانته وكان الناس في هياج عظيم واقبال على التطوع

وبذل اكل ما يلزم للمدافعين من طعام وذخيرة - ولكن الوقت لم يتسع لعمل مفيد

ثم ذهب فيصل مساء الجمعة الى (الهامة) وجعلها مركز قيادته وبلغنا انه أرسل أمتعته الخاصة وذخائره الى (درعا) وان الحكومة أرسلت أوراقها ودفاترها اليها أيضا.

ثم انه ذهب في مساء السبت الى محطة الكسوة بمن معه من وزرائه وخواصه ومنهم بعض الشبان وأرسل اليه طعام العشاء من دار عبد الرحمن بك اليوسف وذلك بعد انتهاء معركة خان ميسلون التي قتل فيها وزير حربيته يوسف بك العظمة وفرقت الطيارات شمل من كان معه من العسكر النظامي ويقال انهم كانوا زهاء خمسمائة جندي.

وعاد في المساء جميل بك الالشي حاجبه الاول وكان ذهب مع موسيو كوص (الذي كان ضابط الارتباط الفرنسي في دمشق وصار بعد الاحتلال رئيس البعثة الفرنسية للانتداب مدة من الزمن) الى الجنرال غورو للاتفاق معه بأمر الملك على صفة دخول دمشق وقد عاد معه في سيارته مبتهجا مسرورا!

وفي صباح يوم الاحد (٩ ذي القعدة ٢٥ يوليو) رأيت نوري باشا السعيد فأخبرني ان الجيش الفرنسي يدخل الشام بين الساعة ٩ والدقيقة ١٠ ويعسكر في (المزة) من ضواحي البلد وان الملك يدخلها الساعة ١٠ ونصف ولكنه لم يدخلها الا في منتصف ليلة الاثنين وألف وزارة جديدة من الموالين أو الميالين الى فرنسة رئيسها علاء الدين بك الدروبي، وقد كانت عودته الى دمشق من الغرائب. ورأيت نوري باشا في صباح الاثنين أيضا فأخبرني بأن القائد الفرنسي قبل الوزارة الجديدة وانهم لا يعترفون بالملك. فقلت له وكيف عدتم به الى العاصمة؟.. قال لم يكن هذا برأيي وانما هو رأي جماعة الذين ورطوه وفي مقدمتهم الدكتور فلان — وفي يوم الثلاثاء بلغته السلطة المحتلة وجوب الخروج من الشام قبل نصف الليل. بلغني ذلك بعد العشاء فذهبت الى داره لوداعه على ما كان وقع من الجفاء بيننا من قبل الانذار الفرنسي الذي لا علاقة له بالمودة الشخصية فوجدت في الدار أفراداً من الشرطة بلغني انهم حرس على أثاث الدار لئلا يؤخذ شيء منها ومكثت معه نصف ساعة أعجبني فيها صبره وأمله، وكان ذلك في الساعة الحادية عشرة ليلا وقد خرج بعد وداعي له بنصف ساعة وحمل قطار خاص بمن معه الى درعا

يوسف بك العظمة

ولا بد لي من كتابة كلمة في هذه الخلاصة التاريخية بشأن يوسف بك العظمة الذي كنت معجبا بما أوتي من الذكاء والنظام والهمة والنشاط والوطنية وحسن السلوك منذ عرفته مساعدا للحكومة العربية في بيروت الى ان عين وزيرا للحربية باقتراحي وسعي مع بعض الاخوان: استبد يوسف بالعمل في وزارة الحربية وكان يكتم أعماله حتى عن رئيس الوزارة بل يعمي الامر الاعلى الملك فيما أظن ولما اشتدت لازمة سألته هل هو مستعد للدفاع؟ قال نعم اذا وافق الملك واذا خالفناه نخشى ان يلجأ الى الاجانب.. ولما عين ياسين باشا الهاشمي قائدا لموقع العاصمة عتب الانذار وأظهر للوزارة ما فيها من النقص أي على خلاف ما كان يقول ثم اتفق الوزارة على قرار التسليم لجنرال غورو — بعد هذا كله رأيته في بيت الملك مع الوزراء فكلمته وجها كلاما شديدا وذكرته ببعض كلامه فقال وجهه منتقع كوجه الميت انني مذنب وأتحمل تبعة عملي وكدت البارحة انحر من الغم فلا تزد علي . ولما خرج الى الدفاع بمن بقي معه من فلول جيشه تزين ولبس ملابسه الرسمية ووطن نفسه على الموت — فكان شرفه الذي امتاز به أنه لم يقبل ان يعيش ذليلا بل أراد أن يكفر بدمه عن ذنب التقصير المبني على الثقة والغرور

كان فشل هذه المدافعة بخان ميسلون أمرا جليا لا يجهله مثله ولا مثلي ممن لا يعلم من الحرب شيئا ولذلك رغب الي الكثيرون ان اخطب في المتطوعين وفي بعض المساجد في الحث على الدفاع فامتنعت — كما أبيت مرارا أن أخطب في الاحتفالات السياسية — وقلت لبعض الخواص التي لا أغش أحدا ولا أستطيع أن أقول في هذا المقام ما أعتقد لانه يضر الآن ولا ينفع وقد نصحت للعاملين في كل شيء في وقته فلم يفد — على ان ما اندفعت اليه الامة من أمر الدفاع شريفا ولا بد منه

خلاصة آراء فيصل والامة وغورو

وخلاصة الخلاصة ان فيصلا كان يعتقد ان الوصاية على البلاد أمر مقضي وانه لا يمكن ايجاد قوة وطنية تحفظ الاستقلال فكان لذلك يجتهد في ارضاء كل ذي مكانة وتأثير الى ان يضع الحلف القرار الاخير الذي كان يرى انه قادر على السعي الى حمل بطانة الوصاية فيه على خفيفة، ولذلك لم يهتم أمر الاستعداد للدفاع بتنظيم قوى العشائر ولا بالجيش

النظامي ولم يكن يعتقد انه يهاجم هذه المهاجمة فلما هوجم لم يجد بدا من الخضوع. فهو لم يستعد للقتال ولو دفاعا وما اضطر اليه من ايجاد جيش دفاعي جيش منظم بادر الى تسريحه عند الحاجة اليه، وقد أعلن الحرب في الوقت الذي كان يفاوض في أمر التسليم وهو لا يزال يرى أن رأيه كان هو الصواب وأن كل ما خالفه خطأ وانه أخطأ لعدم الاستبداد بتنفيذ ما كان يراه بالقوة. وقد صرح بخطئه وعمله مرارا في أوربة وبلغنا انه يريد ان ينشر فيه كتابا رسميا

وأما زعماء الامة الذين خالفوه فقد بينا انهم علموا بعد طول الاختبار ان الدولتين شرعتا في تنفيذ ما اتفقتا عليه من استعمار بلادهم فالاولى أن تقاومهم الامة بالحجة وبالدفاع عن نفسها اذا جوهما بالقوة ليكون مركزهم فيها مركز المنتسب وقبول الانتداب بجملته شرعيا

وأما الجنرال غورو فكانت سياسته اخراج الشريف فيصل من سورية مهما تكن حاله لانه ناصبهم وأغرى المصابات والعشائر بهم وصار له نفوذ في البلاد يمكن أن يكون خطرا عليهم في كل وقت ولا سيما اذا اشتد الخلاف بينهم وبين الكاثرة التي يعدونه من صنائعها المخلصين لها. فهو قد حارب الامير فيصلا القائد الحجازي الذي يعده أجنبيا عن سورية لانقاذ سورية من نفوذ دولة الحجاز ولو باسم الانتداب والوصاية الفرنسية، وعد ما أخذه من السلاح والذخائر الحربية غنيمة حربية، وكل ذلك بين ظاهر في الاقوال والمكتوبات الرسمية

الطور الاخير للمسألة العربية

ان ما تفاقم على الدولة البريطانية من معضلات المشكلات المالية والسياسية والاستعمارية والاجتماعية واعيائها دون حل عقدها أو عقدة منها قد اضطرها الى ترك جزيرة العرب لامرائها مع اصطناع من أمكن اصطناعه منهم والتمهيد لتدخل الاقتصادي والفني بالتدريج ثم الاستعانة أولياؤها ملك الحجاز واولاده في سورية وفلسطين والعراق بعد الاعراض عنهم وعدم المبالاة بصراخ جريدة القبلة بمكة بالاستعطاف والاستعانة والتذكير بالعهود والوعود والنجدة والحسنات البريطانية، وعد حاميها الملك الخروج عن مرضاتها مساويا للردة والخروج عن رحمة الله تعالى وتمثله في ندائها بقول الشاعر

* فان كنت مأكولا فكن انت آكلي *

والغرض الاول من هذه السياسة والادارة الموقتة تخفيف النفقات عن كاهل دافعي الضرائب في بريطانية العظمى الى أن تنحل عقد المشكلات وتؤسس وسائل القوة في داخلية البلاد العربية بأقل ما يمكن من النفقة ، والثاني دفع إغارة العرب من وراء الاردن على فلسطين ومساعدتهم لاهلها على اليهود الصهيونيين، والثالث إخضاع العراق والاستعانة بحكومته الجديدة على مقاومة الترك وحلفائهم من مسلمي الشرق و بولشفيك الروس اذا اصروا على تنفيذ فكرة الجامعة الاسلامية ومقاومة الاستعمار الانكليزي في البلاد العربية والعجمية . وبالفعل انهم أعادوا الراتب الشهري لملك الحجاز بعد دعوة ولده فيصل الاخيرة الى لندن فحملوه ١٨ ألف جنيه أو ٢٠

عمل وزير المستعمرات بمصر وفلسطين

جاء مستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية مصر في شهر مارس الماضي ونظر في مسألة حظائر الطيران فيها وقابل فيها الوفد العراقي الانكليزي الذي استحضر لاجل الاتفاق معه على أمور العراق المالية والعسكرية ثم سافر الى فلسطين فآذن أهلها بدوام السلطة الانكليزية على البلاد وتنفيذها لوعد بلفور بجعلها وطنا قوميا لليهود ، وقابل الشريف عبد الله بن الحسين ملك الحجاز وجعله حاكما لشرق الاردن بالتبع لحكومة فلسطين واستمداد السلطة من ممتدها السامي واعطاه من القوة العسكرية والطيارات ما يمكنه من اخضاع كل من يشذ من عرب تلك البلاد عما يراد بها وتأمين ما تنشئه السلطة البريطانية فيها من أسباب المواصلات ووسائل القوة وأولها محطة التلغراف اللاسلكي وحظيرة الطيارات ، ويلي ذلك مد السكة الحديدية العسكرية من فلسطين الى العراق وقد قرروا اعطاءه حصة جرك حيفا للداخلية وهي ١٢٠ ألف جنيه في السنة

تكريم وجيه عراقي لجعفر باشا العسكري

كان في اعضاء الوفد العراقي جعفر باشا العسكري الذي كان احد قواد الشريف فيصل في حرب فلسطين وسورية وعهد اليه الانكليز في العراق بتأسيس الجيش الوطني بعد أن ذهب الى بغداد لاجل بث الدعوة لجعل الشريف فيصل ملكا للعراق وكان قد جاء مصر منذ اشهر شاب من وجهاء البصرة المشايعين للانكليز وهو

(عبد القادر بك آل باش اعيان) وقد دعا هذا الوجيه طائفة من وجهاء مصر وسورية والعراق الى حفلة شاي في فندق شبرد تكريما لجعفر باشا في ١٨ مارس ولما جاءتني رقعة الدعوة خطر لي أنه ربما كان لها معنى سياسي ولما جئنا الفندق دعينا الى حديقته لاجل تصويرنا مع المحتفل به مجتمعين فأبيت ذلك مع أفراد آخرين، وبعد شرب الشاي استنشد شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي فارتجل قصيدة تناسب المقام، وأثنى عليه احمد افندي داغر الشاعر السوري المصري بأبيات مرتجلة في المجلس ثم دعي الدكتور فارس افندي نمر أحد أصحاب المنظم الى الخطابة فأجاب

خطاب الدكتور نمر في المسألة العربية

بدأ الخطاب بالثناء على الدولة البريطانية والشهادة لها بالرغبة في ترقية الشعوب وتحريرها والاخلاص للعرب فيما وضعوه من بدعة الانتداب قال ولكنني على هذا الاعتقاد فيهم قد انتقدت عليهم تقسيم سورية وانتزاعها منه ورأيته ضارا بالسوريين مفرقا لهم ولم اكتم ذلك عنهم بل عبت عليه وعلى اساسه السر مارك سايكس المحب المخلص للعرب وكلمته بذلك في هذا الفندق الذي نحن فيه .... فاجابني قائلا اننا فعلنا هذا لمصلحة العرب أيضا لانهم اذا ظلمهم احد الفريقين وشدد عليهم الوطأة احتجوا عليه بلين الفريق الاخر وحسن ادارته وعدله !!

ثم ذكر مسألة مصر والعراق وعزم الانكليز على منحهما الاستقلال وما يجب من نبذ كل خلاف في هذه السبيل والاجماع على تأييد الحكومتين اللتين تؤسسان في القطرين لانهما تجربة اذا فشلت قضي على الامة العربية والشرق كله بأنه غير أهل للاستقلال بنفسه . ثم ختم الخطاب بقوله انه يعتقد أن جميع الحاضرين على رأيه - فصفق له بعض الحاضرين وتعقبته بالرد عليه:

خطبة الكاتب في المسألة

افتتحت خطابي بقولي انني متطفل بالخطابة لم أدع اليها ثم قلت : انه كان الظاهر من هذه الدعوة انها شخصية يريدها المحتفل تكريم صديق له لا سياسية كما ظهر من خطاب الدكتور نمر . ولو ان الخطيب بين رأيه في الموضوع الذي تكلم فيه ولم يحاول حمل الحاضرين على اقراره عليه وطلب الموافقة عليه بالاجماع لكنا في سعة من السكوت ولكنه قال انه يظن ان الجميع على رأيه وقد صفق

له أفراد وسكت الباقون فيمكن ان يقال ان السكوت رضى واقرار، والاجماع السكوتي مختلف فيه عند علماء الاصول بعضهم يقول انه حجة بشرطه والآخرون يقولون انه ليس بحجة

وقد سبق لحضرة الدكتور خطاب في اجتماع مثل هذا طلب فيه الموافقة على ما قاله في اتفاق سنة ١٩١٦ على اثر اعلان الحلفاء له وهو مطالبتهم بطرد الترك من بلادنا وتفويض أمرها اليهم وتحسين الظن بهم فاضطررت الى معارضته وقتئذ كما اضطررت الآن وحال ذلك دون موافقة ذلك المحفل على ما اقترحه. ويظهر الآن انه لا يزال على رأيه الاول بعد ان مزق الحلفاء شمل سورية وجعلوها بضعة ممالك أو دول دينية فاوقد ذلك فيها نيران الثورات والفتن بحيث لم يفعلوا بشيء من بلاد أعدائهم مثل هذا التمزيق والتنكيل في بلاد أصدقائهم!

وأغرب ما جاء في خطابه الآن ما نقله عن السر مارك سايكس الذي شهد له بالاخلاص في حب العرب مع العلم بانه هو واضع معاهدة اتفاق سنة ١٩١٦ على اقتسام بلادهم واستعبادها، وهو ان هذه القسمة التي قال الخطيب انه كان قد استاء منها لم يبشهم عليها الا شدة حب العرب ومراعاة مصالحهم بما تكون قسمة بلادهم بين سيدين مالكين وسيلة الى احتجاجهم على من اساء منهما وظلم؛ بفعل من أحسن ورحم، ولكن ماذا يعملون اذا اتفق الفريقان على الاساءة والظلم؟ وها نحن اولاء نرى وطأة بريطانية العظمى في القسم الجنوبي من سورية اشد من وطأة فرنسة في القسم الشمالي منها خلافا للمعهود والمشهور في الاستعمار الذي ينهد فيلسوف فرنسة الاجتماعي غوستاف لوبون بتفضيل المنهج البريطاني فيه على المنهج الفرنسي كما بينه في كتابه روح السياسة او فلسفة السياسة - ذلك بأن بريطانية زادت على ما شاركت فيه فرنسة من الاستئثار بادارة البلاد أن جعلتها وطنا قوميا لغرباء اليهود الصهيونيين وقررت تمليكهم رقبة ارض البلاد باعطائهم الاراضي الاميرية فيها التي هي ملك بيت مال المسلمين وأملاك السلطان عبد الحميد التي اغتصبها من الاهالي وتريد أن تجعلهم اكثر اهل البلاد بالتدريج حتى تخرج عن كونها عربية. وقد بحت اصوات أهل البلاد من اقامة الحجج والبراهين فلم تغن عنهم شيئا وقد سبق لي في سنة ١٩١٥ جدال عنيف مع السر مارك سايكس في هذا الفندق عاد منه متيسرون بلادنا

وأما مشروع تأسيس حكومة وطنية في العراق تابعة لوزارة المستعمرات

الانكليزية فهو لا يغر أحداً من العرب لانهم يطلبون الاستقلال لا الاستعمار الاجنبي ، وغرض الدولة البريطانية منه معروف صرح به ناظر المستعمرات وهو استعمار البلاد بأقل ما يمكن من النفقة لاسكات دافعي الضرائب عن المعارضة للحكومة فيه =

قرن الخطيب مشروع حكومة العراق بمشروع استقلال مصر الذي يطلبه الوفد المصري وأين هو منه ؟ ان المصريين يطلبون أن تكون بلادهم دولة مستقلة في داخليتها وخارجيتها ذات مجلس نيابي منتخب وحكومة مسؤلة لديه وسفراء وقناصل في الممالك الاجنبية وأن يعقد بينها وبين انكلترة اتفاق أو محالفة تحفظ هذه بها مصالحها وتكون ممتازة بها على غيرها من الدول فاذا كانت انكلترة تسمح بمثل هذا في العراق يكون اقتراحه وجيهاً جديراً بأن يقبل بالتحفظ الواجب

(ثم بينت ان الامة العربية قد عرفت الحقائق فلا تنخدع بخلابة الالفاظ ولا يفوزها الا جمع الكلمة واتحاد كاتحاد الشعب المصري بين ابناء الملل والمذاهب والا أضاعت نفسها)

قلت : واني أذكر في هذا المقام حديثاً لي مع مدير المخابرات البريطانية بدمشق اذ كان تفضل بدعوتي الى شرب الشاي عنده فجئته مع بديع افندي الحوراني — ولعله معنا هنا — ودار الحديث بيننا على المائدة في المسألة المصرية ثم في المسألة السورية قال : أترى ان سورية تستغني عن مساعدة أجنبية ؟ قلت لعلكم تظنون ان مثلي يستحي أن يدعي ان بلاده وصلت في الارتقاء والعمران الى الدرجة التي تجرئه على القول بأنها تستغني عن مساعدة فلا مندوحة له عن الاعتراف بحاجتها الى ذلك فتقوم عليه حجتكم بوجوب الوصاية عليها . أنا أقول ان الامم والشعوب كالافراد لا يستغني بعضها عن مساعدة بعض — فهذه بريطانية العظمى التي وصلت الى ما يعلم كل الناس من الحضارة وسعة الملك وحسن الادارة والنظام قد اعترف ملكها السابق السياسي العظيم (ادورد) بأنها محتاجة الى مساعدة رجال من الالمان على تنظيمها — روت ذلك مجلة بريطانية عن أميرة انكليزية (هي الكونتس ورك) قالت انه شرب الشاي عندها قبل وفاته بثلاثة أشهر فذكرت له في تحاورها معه بمنه لابن أخته (غليوم) عاهل الالمان فتى ذلك وذكر لها اعجابه بما وصلت اليه الادارة الالمانية من الارتقاء والنظام وتمنى

لو أن معه رجالا منهم يتولون ادارة بلاد ألمان وحكمهم اذا جاؤا لا يخرجون منها وقد ترجمت هذه المقالة بالعربية ونشرت في عدة صحف المصرية (١) فاذا كان بعضكم يقول بأنكم محتاجون الى مساعدة أمة أخرى فهل أقول أنا اننا لا نحتاج الى مساعدة غيرنا ممن نعترف بأنهم أعلم منا وارقى تمدنا لا وانا أقول ان المسألة مسألة تنمع لا مساعدة ، انكم تطلبون في استعمار بلادنا والسيادة عليها وتسمون ذلك مساعدة لاقامة الحجة وتهوين الخطب عليكم ان المساعدة بمعناها اللغوي المعروف من اعمال الخير والبر التي لا مشاحة فيها ولا تنازع ولا خصام فاذا ساعدتم فقيرا على معيشته باعطائه جنيها فلا اقاوم ولا اخاصم من يعطيه جنيها او عشر جنيهات . فما بالكم تختصمون وتتنازعون في قسمة البلاد التي تدعون الرغبة في مساعدتها؟ ثم ان الاقناع بقبول المساعدة الحقيقية لا يكون بقوة السلاح فما بالكم تحتلون البلاد بالجيوش المسلحة بجميع انواع الاسلحة وتفتكون بمن لا يخضع لكم من شعوبها؟

ثم سألته بشرفه واستقلاله الكسوني اي المنطقتين خير في حفظ الامن العام والحرية الشخصية وعدم التعصبات الدينية والمذهبية ؟ المنطقة الشرقية التي يتولى ادارتها العرب الذين بعد عهدهم بالادارة أم المنطقة الغربية التي يتولاها الفرنسيون ؟ فاعترف بتفضيل المنطقة الشرقية في ذلك : فقلت اذا يكون [illegible] الى مساعدتنا الى مساعدتهم فسكت وضحكنا

[illegible] كنت أحب أن أطيل القول في هذا الخطاب بما أشرت اليه من وجوب الاتحاد والتعاون بين سوائر الشعوب بتوحيد الشعب المصري الذي صار بقيامه مثلا عاليا للشعب الشرقي وبما ينقصنا من وحدة الزعامة ولكن خشيت من الحاضرين الذين فوجئوا من السياسة بما لم يكن ينتظره اكثرهم ، ورأيت ان أترك وقتا لغيري فاكتفيت بالاشارة

وقد قام بعدي عيد افندي كامل الخطيب الكاتب المصري المشهور فألقى خطابا بليغا فيه بالكثير الناقع للغلة مما كنت أحب السلام فيه من وجوب التعاون ولولا ان الشعب المصري الممتاز بخصائصه الكثيرة من سائر الشعوب العربية

(١) راجع ص ٢٠ مارس سنة ١٩١٦ من المقتطف وص ١٥٠ من المنار . ولعل عبارة الملك المترجمة « وياحبذا لو حكمنا الالمان لمدة الكافية لاصلاح ادارتها .. ولكن المصيبة انهم اذا أتوا ليحكمونا تعذر علينا الخلاص منهم »

وتوسع أيضاً في السياسة الانكليزية ومالها من المصلحة والمنفعة في اجابة الشعب المصري والامة العربية الى الاعتراف لها بحقها في الاستقلال التام ـ فكان لخطابه تأثير حسن عام . وتلاه جندي بك ابراهيم صاحب الوطر فتكلم في المسألة الاولى وأجاد

وبعد أن ختم صاحب الدعوة الاحتفال بالشكر المعتاد وشرع الجمع في الانصراف وقف الدكتور عبد الرحمن شاهبندر على كرسي واستوقف الناس لسماع كلمة منه فوقفوا وبدأ كلمته بأن السيد رشيد رضا يغلب عليه التشاؤم وهو يحب ترجيح التفاؤل، ثم اثنى على المصريين ومصر لجأ الاحرار بما يرجح ان يزيد الولاء بينهم وبين اخوانهم السوريين فأجاد

وانني اعترف بصدق كلمة صديقي الدكتور شاهبندر وان كنت انكرت في نفسي ذكرها في ذلك الموقف وأقول انني كنت منذ اشتغلت بالسياسة غيداراً في السياسة الاوربية والمطامع الاستعمارية (الغيدار هو الذي يسيء الظن فيصيب) يغلب علي التشاؤم من مساعيهم ولم أر فيها مجالاً للتفاؤل وحسن الظن كما شرحته في هذا المقال ، وانني لم اختلف مع صديقي الدكتور شاهبندر في مسألة من المسائل التي كنت فيها متشائماً وكان متفائلاً الا وظهر انني كنت المصيب فليتذكر أول الملاف في اثر قدومه من العراق الى مصر وأوسطه وآخره في دعوته اياي مع آخرين الى امضاء تقريره المعهود، وفي مواقفنا في هذا الاحتفال

ختم المقال بالتفاؤل بالمآل

واختم هذا المقال بقولي انني مؤمن يرى اليأس من روح الله والقنوط من رحمته كفراً، وانني لا يمنعني التشاؤم وسوء الظن في الطامعين من عمل ولا سعي فانا لا أزال أرجو اقناع الدولتين المقتسمتين لبلادنا الهاضمتين لحقوقنا بأن الخير لهما وللمدنية والانسانية ان يتركونا احراراً في بلادنا حاكمين في شعوبنا وان يساعدونا على ما نريد من عمران بلادنا بما نطلب المساعدة عليه ويكتفوا منا بالمنافع الاقتصادية والادبية . ومن سوء الحظ ان كان سعي السابق مع غلاة المستعمرين منهم ، وأرجو ان أوفق للسعي مع احرار المنصفين منهم وهم ولله الحمد كثيرون

وأود لو يعلم هؤلاء الاحرار حقيقة أمور الشرق من أحرار أهله ولا يكتفوا ببلاغات السياسة الاستعمارية وما يختزله أهلها من أقوال مديري المخابرات لهم

أود لو يعلم أحرار فرنسة الكرام أن ملك الحجاز وأولاده لا يمثلون الامة العربية بل السواد الاعظم من العرب ومن مسلمي الاعاجم غير راضين عنهم وانه ليس من مصلحة فرنسة معاداة هذه الامة في هذا البيت منها ولا بجعلها خصما للترك ، وانه لا يمكن أن تنال دولتهم عطف العالم الاسلامي مع مقاومتها للعرب

وأود لو يعلم أحرار انكلترة ومنصفوها المستقلون ذلك فلا يغتروا باستخدام مستعمريهم لاهل هذا البيت ويظنوا انهم هم الذين يخضعون لهم هذه الامة ويرضونها باستعمار بريطانية لبلادهم. على أن الايام ستعلمهم مالم يكونوا يعلمون

وأود لو تعلم الشعوب العربية أن الانتداب الذي فهموا معناه لم يعد أمراً مقضيا ، وأن عصبة الامم لن تكون ألعوبة بيد المستعمرين ، وان الرجاء في استقلالهم واستقلال أمثالهم وبناء قواعد الصلة بين الشرق والغرب على أساس العدل وتبادل المنافع من غير سيطرة ولا سيادة للمستعمرين هو المستضعفين رجاء قوي يزيده العلم به والسعي اليه قوة ولا بقاء للعمران بدونه — (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض ، كذلك يضرب الله الامثال)

وأود لو يعلم سادة الامة العربية وكبراؤها انهم لو جمعوا كلمتهم في هذه الفرصة لاسسوا لانفسهم وحدة حلفية يحفظ بها استقلال كل منهم ويعود به مجد الامة العربية وتحيا حضارتها الشريفة التي فاقت حضارة جميع الامم بجمعها بين الرفاهة المقصودة من الحضارة وبين الفضيلة ولكنهم أجابوا داعي شيطان التفريق وتغريره لهم بالمال والمآل (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا) ولم يجيبوا داعي الوحدة وهو داعي الله تعالى الذي يدعوهم باسم الله تعالى لما يحييهم ، فهذا وقت الوحدة الداخلية ، امام الدواهي الخارجية ، لا وقت فض مشكلات حدود البلاد ولا تحكيم العصبية الدينية والمذهبية ، وليعتبروا باخوانهم الترك ، الذين قضت عليهم معاهدات الحرب بالزوال والمحق. كيف تحولت حالهم بجمع الكلمة والدفاع عن البيضة. الى ان صار الحلفاء القاهرون لهم ولاحلافهم الذين كانوا أقوى وأعز منهم يمدونهم خطرا عليهم ، ويتسابقون الى لا بقاء معهم أو التزلف اليهم ، ولكن الترك قد وجد فيهم الزعيم الذي جدد لهم الفخار ، ولم يوجد في العرب الا الزعيم الذي سجل عليهم الخزي والعار ، (فاعتبروا يا أولي الابصار)

قرار لعصبة الامم في الانتداب

قررت لجنة عصبة الامم المختصة بالنظر في الوصايات العليا المفروضة على الاقطار المنفصلة من الدولة العثمانية في ٨ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٢٠ التحفظات الآتية لتقدمها للهيئة العامة وهي

(١) لايسمح للدولة المنتدبة باستخدام وسيلة لزيادة قواتها العسكرية

(٢) يجب على الدولة المنتدبة أن لاتستخدم القوة التي يمنحها اياها الانتداب لتعبث هي أو أصدقاؤها بموارد البلاد الطبيعية وتستعمرها لحسابها الخاص أو لحسابهم

(٣) يوضع نظام أساسي لجميع الاقطار ذات الوصايات العليا وتنظر فيه عصبة الامم (الهيئة العمومية) قبل تنفيذه

(٤) يجب أن تنشر جميع صكوك الوصاية قبل أن ينظر المجلس فيها

مصابنا بولدنا الهمام

لجمنا في الليلة الرابعة عشرة من شهر شوال بوفاة ولدنا الصغير (الهمام) بعد مرض طويل بل امراض متوالية أولها وعكة برد ورطوبة تلاها سعال عادي انقلب سعالا ديكيا حرمه المنام والمنام عدة أسابيع اذ كان يقيء مايأكله غالباً فتضعف جسمه وقل احتماله واصابته في هذه الحال الحصبة وانتهت بالتأثير المعهود لها في الاحماء وكل ذلك من موانع قبول الغذاء، وبقي أياماً كثيرة لايطلب الا الماء، فلله ماأخذ ولله ما أعطى، ان العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول الا مايرضي ربنا، وانا بفراقك يا(همام) لمحزونون «انا لله وانا اليه راجعون. اللهم اجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها» اللهم اجعله فرطاً لنا وذخراً، واجعل مصابنا به أجراً ورحمة، ولا تجعله فتنة. واجعلنا من الصابرين المهتدين

(تاريخ هذا الجزء من المنار وما بعده)

بدأنا بتحرير هذا الجزء وطبعه في أوائل رمضان ثم عرض لنا في أواخر رمضان وأوائل شوال من انحراف الصحة ومرض جميع الاولاد وسهرنا على تمريضهم ثم وفاة صغيرهم الهمام ما اقتضى تأخير صدوره الى آخر شهر شوال. وقد بقي من المجلد أربعة أجزاء نصدر ان شاء الله تعالى في أواخر الاشهر الآتية ذي القعدة وذي الحجة والمحرم وصفر فيكون أول جزء من المجلد الثالث والعشرين في ربيع الاول كما صدر أول جزء من هذا المجلد فيه